فصص حق وبأ صدق وموعظة يرتدع بها الكافرون وذكرى يتذكر بها المؤمنون

﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ * وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾

يقول تعالى آمرا رسوله أن يقول للذين لا يؤمنون بما جاء به من ربه على وجه التهديد (اعملوا على مكانتكم) أى على طريقتكم ومنهجكم (إنا عاملون) أى على طريقتنا ومنهجنا (وانتظروا إنا منتظرون) أى (فستعلمون من تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون) وقد أنجز الله لرسوله وعده ونصره وأيده وجعل كلمته هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى والله عزيز حكيم

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾

يخبر تعالى أنه عالم غيب السموات والأرض وأنه إليه المرجع والمآب ، وسيؤتى كل عامل عمله يوم الحساب ، فله الخلق والأمر ، فأمر تعالى بعبادته والتوكل عليه . فإنه كاف من توكل عليه وأناب إليه ، وقوله (وما ربك بغافل عما تعملون) أى ليس يخفى عليه ما عليه مكذبوك يا محمد بل هو عليم بأحوالهم وأقوالهم وسيجزيهم على ذلك أتم الجزاء فى الدنيا والآخرة وسينصرك وحزبك عليهم فى الدارين ، وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا زيد بن الحباب عن جعفر ابن سليمان عن أبى عمران الجونى عن عبد الله بن رباح عن كعب قال خاتمة التوراة خاتمة هود

﴿ تم تفسير سورة هود ﴾

﴿ تفسير سورة يوسف عليه السلام وهى مكية ﴾

روى الثعلبى وغيره من طريق سلام بن سليم ويقال سلم المدائنى وهو متروك عن هارون بن كثير وقد نص على جهالته أبو حاتم عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبى أمامة عن أبى بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ « علموا أرقاءكم سورة يوسف فإنه أيما مسلم تلاها أوعلمها أهله أوما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت وأعطاه من القوة أن لا يحسد مسلماً » وهذا من هذا الوجه لا يصح لضعف إسناده بالكلبة ، وقد ساقه الحافظ ابن عساكر متابعا من طريق القاسم بن الحكم عن هارون بن كثير به ومن طريق شبابة عن محمد بن عبد الواحد النضرى عن على ابن زيد بن جدعان ، وعن عطاء بن أبى ميمونة عن زر بن حبيش عن أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه وهو منكر من سائر طرقه ،وروى البيهقى فى الدلائل أن طائفة من اليهود حين سمعوا رسول الله ﷺ يتلو هذه السورة أسلموا لموافقتها ما عندهم وهو من رواية الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾

أما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم فى أول سورة البقرة وقوله (تلك آيات الكتاب) أى هذه آيات الكتاب وهو القرآن المبين أى الواضح الجلى الذى يفصح عن الأشياء المبهمة ويفسرها ويبينها (إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) وذلك لأن لغة العرب أفصح اللغات وأبينها وأوسعها وأكثرها تأدية للمعانى التى تقوم بالنفوس فلهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات على أشرف الرسل بسفارة أشرف الملائكة ، وكان ذلك فى أشرف بقاع الأرض ، وابتدىء إنزاله فى أشرف شهور السنة وهو رمضان، فكمل من كل الوجوه ، ولهذا قال تعالى(نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن) بسبب إيحائنا إليك هذا القرآن ، وقد ورد فى سبب نزول هذه الآية

مارواه ابن جرير حدثني نصر بن عبدالرحمن الأودى حدثنا حكام الرازى عن أيوب عن عمرو هو ابن قيس الملائى عن ابن عباس قال : قالوا يارسول الله صلى الله عليك وسلم لو قصصت علينا ؟ فنزلت (نحن نقص عليك أحسن القصص) وروا ه من وجه آخر عن عمرو بن قيس مرسلا . وقال أيضا حدثنا محمد بن سعيد القطان حدثنا عمرو بن محمد أنبأنا خالد الصفار عن عمرو بن قيس عن عمرو بن مرة عن مصعب بن سعد عن أبيه قال أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم القرآن قال فتلاه عليهم زمانا فقالوا يارسول الله لو قصصت علينا ؟ فأنزل الله عز وجل (الر تلك آيات الكتاب المبين) إلى قوله (لعلكم تعقلون) ثم تلاه عليهم زمانا فقالوا يارسول الله لو حدثتنا فأنزل الله عز وجل (الله نزل أحسن الحديث) الآية وذكر الحديث ، ورواه الحاكم من حديث إسحق بن راهويه عن عمرو بن محمد القرشى المنقرى به ، وروى ابن جرير بسنده عن المسعودى عن عون بن عبد الله قال مل أصحاب رسول الله ﷺ ملة فقالوا : يا رسول الله حدثنا فأنزل الله (الله نزل أحسن الحديث) ثم ملوا ملة أخرى فقالوا يارسول الله حدثنا فوق الحديث ودون القرآن يعنون القصص - فأنزل الله عز وجل (الر تلك آيات الكتاب المبين إنا أنزلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون * نحن نقص عليك أحسن القصص) الآية فأرادوا الحديث فدلهم على أحسن الحديث ، وأرادوا القصص فدلهم على أحسن القصص . وبما يناسب ذكره عند هذه الآية الكريمة المشتملة على مدح القرآن ، وأنه كاف عن كل ماسواه من الكتب مارواه الإمام أحمد حدثنا شريح بن النعمان أنا هشيم أنبأنا مجالد عن الشعبى عن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبي ﷺ قال فغضب وقال «أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب ؟ والذى نفسى بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، لاتسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبونه أو بباطل فتصدقونه ، والذى نفسى بيده لو أن موسى كان حيا ماوسعه إلا أن يتبعنى » وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أنا سفيان عن جابر عن الشعبى عن عبدالله بن ثابت قال : جاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله إنى مررت بأخ لى من قريظة فكتب لى جوامع من التوراة ألا أعرضها عليك ؟ قال فتغير وجه رسول الله ﷺ ، قال عبد الله بن ثابت فقلت له ألا ترى ما بوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال عمر : رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا ، وبمحمد رسولا ، قال فسرى عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال « والذى نفس محمد بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه وتركتمونى لضللتم ، إنكم حظى من الأمم وأنا حظكم من النبيين » وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا عبدالغفار بن عبدالله بن الزبير حدثنا على بن مسهر عن عبد الرحمن بن إسحق عن خليفة بن قيس عن خالد بن عرفطة قال كنت جالسا عند عمر إذ أتى برجل من عبدالقيس مسكنه بالسوس فقال له عمر : أنت فلان بن فلان العبدى ؟ قال نعم ، قال وأنت النازل بالسوس؟ قال نعم ، فضربه بقناة معه، قال فقال الرجل مالى يا أمير المؤمنين ؟ فقال له عمر اجلس فجلس فقرأ عليه (بسم الله الرحمن الرحيم * الر * تلك آيات الكتاب المبين * إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون* نحن نقص عليك أحسن القصص - إلى قوله- لمن الغافلين) فقرأها عليه ثلاثا وضربه ثلاثا فقال له الرجل مالى يا أمير المؤمنين ؟ فقال أنت الذى نسخت كتاب دانيال ، قال مرنى بأمرك أتبعه ، قال انطلق فامحه بالحميم والصوف الأبيض ثم لاتقرأه ولا تقرئه أحدا من الناس فلئن بلغنى عنك أنك قرأته أو أقرأته أحدا من الناس لأنهكنك عقوبة ثم قال اجلس فجلس بين يديه ، فقال انطلقت أنا فانتسخت كتابا من أهل الكتاب ثم جئت به فى أديم فقال لى رسول الله ﷺ « ماهذا فى يدك ياعمر ؟» قال قلت يارسول الله كتاب نسخته لنزداد به علما إلى علمنا فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احمرت وجنتاه ثم نودى بالصلاة جامعة فقالت الأنصار أغضب نبيكم صلى الله عليه وسلم السلاح السلاح ، فجاءوا حتى أحدقوا بمنبر رسول الله ﷺ فقال « يا أيها الناس إنى قد أوتيت جوامع الكلم وخواتيمه ، واختصر لى اختصارا ، ولقد أتيتكم بها بيضاء نقية فلا تهوكوا ولا يعرنكم المتهوكون » قال عمر فقمت فقلت رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا ، وبك رسولا . ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رواه ابن أبى حاتم فى تفسيره مختصرا من حديث عبد الرحمن بن إسحق به وهذا حديث غريب من هذا الوجه ، وعبدالرحمن بن إسحق هو أبو شيبة الواسطى وقد

ضعفوه وشيحه . قال البخارى لايصح حديثه ، قلت وقد روى له شاهدمن وجه آخر فقال الحافظ أبو بكر أحمد بن إبراهيم الاسماعيلى أخبرنى الحسن بن سفيان حدثنا يعقوب بن سفيان حدثنا إسحق بن إبراهيم بن العلاء الزبيدى حدثنى عمرو بن الحارث حدثنا عبدالله بن سالم الأشعرى عن الزبيدى حدثنا سليم بن عامر أن جبير بن نفير حدثهم أن رجلين كانا بحمص فى خلافة عمر رضى الله عنه فأرسل اليهما فيمن أرسل من أهل حمص وكانا قدا كتتبا من اليهود صلاصفة فأخذاها معهما يستفتيان فيها أمير المؤمنين يقولون : إن رضيها لنا أمير المؤمنين ازددنا فيها رغبة . وإن نهانا عنها رفضناها ، فلما قدما عليه قالا إنا بأرض أهل الكتاب وإنا نسمع منهم كلاما تقشعر منه جلودنا أفنأخذ منه أو نترك ؟ فقال لعلكما كتبتما منه شيئا فقالا : لا ، قال سأحدثكما : انطلقت فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم حتى أتيت خيبر فوجدت يهوديا يقول قولا أعجبنى فقلت : هل أنت مكتبى مما تقول ، قال نعم فأتيت بأديم فأخذ يملى على حتى كتبت فى الأكراع فلما رجعت قلت يانبى الله وأخبرته قال « ائتنى به » فانطلقت أرغب عن الشىء رجاء أن أكون حئت رسول الله ببعض مايحب ؛ فلما أتيت به قال « اجلس اقرأ على » فقرأت ساعة ثم نظرت إلى وجه رسول الله ﷺ فاذاهو يتلون فتحيرت من الفرق فما استطعت أن أجيزمنه حرفا ، فلما رأى الذى بى رفعه ثم جعل يتبعه رسما رسما فيمحوه بريقه وهو يقول « لاتتبعوا هؤلاء فانهم قدهوكوا وتهوكوا » حتى محا آخره حرفا حرفا : قال عمر رضى الله عنه فلو علمت أنكما كتبتما منه شيئا جعلتكما نكالا لهذه الأمة ، قالا والله مانكتب منه شيئا أبدا فخرجا بصلاصفتهما فحفرا لها فلم يألوا أن يعمقا ودفناها فكان آخر العهد منها ، وهكذا روى الثورى عن جابر بن يزيد الجعفى عن الشعبى عن عبدالله بن ثابت الأنصارى عن عمر بن الخطاب بنحوه ، وروى أبوداود فى المراسيل من حديث أبى قلابة عن عمر نحوه والله أعلم

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾

يقول تعالى اذكر لقومك ياحمد فى قصصك عليهم من قصة يوسف إذ قال لأبيه ، وأبوه هو يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم السلام كما قال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال « الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم » انفرد بإخراجه البخارى فرواه عن عبد الله بن محمد عن عبد الصمد به . وقال البخارى أيضا حدثنا محمد أنا عبدة عن عبيد الله عن سعيد بن أبى سعيد عن أبى هريرة قال : سئل رسول الله ﷺ أى الناس أكرم ؟ قال « أكرمهم عندالله أتقاهم » قالوا ليس عن هذا نسألك ، قال « فأكرم الناس يوسف نبى الله ابن نبى الله ابن نبى الله ابن خليل الله » قالوا ليس عن هذا نسألك ، قال « فعن معادن العرب تسألونى ؟ » قالوا نعم قال « فخياركم فى الجاهلية خياركم فى الاسلام اذا فقهوا » ثم قال تابعه أبو أسامة عن عبيد الله . وقال ابن عباس رؤيا الأنبياء وحى ، وقد تكلم المفسرون على تعبير هذا المنام أن الأحد عشر كوكبا عبارة عن اخوته وكانوا أحد عشر رجلا سواه ، والشمس والقمر عبارة عن أمه وأبيه . روى هذا عن ابن عباس والضحاك وقتادة وسفيان الثورى وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقد وقع تفسيرها بعد أربعين سنة وقيل ثمانين سنة وذلك حين رفع أبويه على العرش وهو سريره وإخوته بين يديه (وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا) وقد جاء فى حديث تسمية هذه الأحد عشر كوكبا فقال الإمام أبو جعفر بن جرير حدثنى على بن سعيد الكندى حدثنا الحكم بن ظهير عن السدى عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر قال : أتى النبى ﷺ رجل من يهود يقال له بستانة اليهودى فقال له : ياحمد أخبرنى عن الكواكب التى رآها يوسف أنها ساجدة له ما أسماؤها ؟ قال فسكت النبى ﷺ ساعة فلم يجبه بشىء ونزل عليه جبريل عليه السلام فأخبره بأسمائها قال فبعث رسول الله ﷺ إليه فقال « هل أنت مؤمن إذا أخبرتك بأسمائها ؟ » فقال نعم قال « جريان ، والطارق والذيال ، وذوالكفات[1] ، وقابس ، ووثاب ، وعمودان ، والفليق ، والمصبح ، والضروح وذوالفرغ [2] والضياء والنور [3] » فقال اليهودى : إى والله إنها لأسماؤها . ورواه البيهقى فى الدلائل من حديث سعيد بن منصور عن الحكم بن ظهير . وقد روى

(١) فى النسخة الأميرية : ذوالكتفين . (٢) وفيها : والفرغ . (٣) الضياء والنور ، زيادة فى النسخة المكية .

هذا الحديث الحافظان أبو يعلى الموصلى وأبو بكر البزار فى مسنديهما ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ، أما أبو يعلى فرواه عن أربعة من شيوخه عن الحكم بن ظهير به وزاد : قال رسول الله ﷺ « لما رآها يوسف قصها على أبيه يعقوب فقال له أبوه هذا أمر مشتت يجمعه الله من بعد ، ـ قال ـ والشمس أبوه والقمر أمه » تفرد به الحكم بن ظهير الفزارى وقد ضعفه الأئمة وتركه الأكثرون وقال الجوزجانى ساقط وهو صاحب حديث حسن يوسف ثم ذكر الحديث المروى عن جابر أن يهوديا سأل النبى ﷺ عن الكواكب التى رآها يوسف ما أسماؤها وأنه أجابه ثم قال تفرد به الحكم بن ظهير ، وقد ضعفه الأربعة

﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن قول يعقوب لابنه يوسف حين قص عليه ما رأى من هذه الرؤيا التى تعبيرها خضوع إخوته له وتعظيمهم إياه تعظما زائداً بحيث يخرون له ساجدين إجلالا واحتراما وإكراما فخشى يعقوب عليه السلام أن يحدث بهذا المنام أحداً من إخوته فيحسدونه على ذلك فيبغون له الغوائل حسداً منهم له ، ولهذا قال له (لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا) أى يحالوا لك حيلة يردونك فيها ، ولهذا ثبتت السنة عن رسول الله ﷺ قال « إذا رأى أحدكم ما يحب فليحدث به وإذا رأى ما يكره فليتحول إلى جنبه الآخر وليتفل عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من شرها ولا يحدث بها أحداً فانها لن تضره » . وفى الحديث الآخر الذى رواه الإمام أحمد وبعض أهل السنن من رواية معاوية بن حيدة (١) القشيرى أنه قال : قال رسول الله ﷺ « الرؤيا على رجل طائر مالم تعبر ، فاذا عبرت وقعت » ومن هذا يؤخذ الأمر بكتمان النعمة حتى توجد وتظهر كما ورد فى حديث « استعينوا على قضاء الحوائج بكتمانها فان كل ذى نعمة محسود »

﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن قول يعقوب لولده يوسف إنه كما اختارك ربك وأراك هذه الكواكب مع الشمس والقمر ساجدة لك (كذلك يجتبيك ربك) أى يختارك ويصطفيك لنبوته (ويعلمك من تأويل الأحاديث) قال مجاهد وغير واحد يعنى تعبير الرؤيا (ويتم نعمته عليك) أى بارسالك والايحاء إليك ، ولهذا قال (كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم) وهو الخليل (وإسحق) ولده وهو الذبيح فى قول وليس بالرجيح (إن ربك عليم حكيم) أى هو أعلم حيث يجعل رسالته كما قال فى الآية الأخرى

﴿ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ * إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ۚ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ * قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾

يقول تعالى لقد كان فى قصة يوسف وخبره مع إخوته آيات أى عبرة ومواعظ للسائلين عن ذلك المستخبرين عنه فانه خبر عجيب يستحق أن يخبر عنه (إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا) أى حلفوا فيما يظنون والله ليوسف وأخوه ، يعنون بنيامين وكان شقيقه لأمه (أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة) أى جماعة فكيف أحب ذينك الاثنين أكثر من الجماعة (إن أبانا لفى ضلال مبين) يعنون فى تقديمهما علينا ، ومحبته إياهما أكثر منا

واعلم أنه لم يقم دليل على نبوه اخوة يوسف ، وظاهر هذا السياق يدل على خلاف ذلك ، ومن الناس من يزعم أنهم أوحى

(١) فى الأميرية : ابن حميد

إليهم بعد ذلك وفى هذا نظر ، ويحتاج مدعى ذلك إلى دليل ، ولم يذكروا سوى قوله تعالى (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط) وهذا فيه احتمال لأن بطون بنى إسرائيل يقال لهم الأسباط كما يقال للعرب قبائل وللعجم شعوب ، يذكر تعالى أنه أوحى إلى الأنبياء من أسباط بنى إسرائيل فذكرهم إجمالا لأنهم كثيرون ولكن كل سبط من نسل رجل من إخوة يوسف ولم يقم دليل على أعيان هؤلاء أنهم أوحى إليهم والله أعلم (اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم) يقولون هذا الذى يزاحمكم فى محبة أبيكم لكم أعدموه من وجه أبيكم ليخلو لكم وحدكم إما بأن تقتلوه أو تلقوه فى أرض من الأراضى تستريحوا منه وتخلوا أنتم بأبيكم (وتكونوا من بعده قوماً صالحين) فأضمروا التوبة قبل الذنب (قال قائل منهم) قال قتادة ومحمد بن إسحق : وكان أكبرهم واسمه روبيل وقال السدى الذى قال ذلك يهوذا وقال مجاهد هو شمعون الصفا (لا تقتلوا يوسف) اى لا تصلوا فى عداوته وبغضه إلى قتله ، ولم يكن لهم سبيل إلى قتله لأن الله تعالى كان يريد منه أمرا لا بد من إمضائه وإنمامه من الإيحاء إليه بالنبوة ومن التمكين له ببلاد مصر والحكم بها فصرفهم الله عنه بمقالة روبيل فيه وإشارته عليهم بأن يلقوه فى غيابة الجب وهو أسفله . قال قتادة وهى بئر بيت المقدس (يلتقطه بعض السيارة أى المارة من المسافرين فتستريحوا منه بهذا ولا حاجة إلى قتله (إن كنتم فاعلين) أى إن كنتم عازمين على ما تقولون . قال محمد بن إسحق بن يسار : لقد اجتمعوا على أمر عظيم من فظيعة الرحم وعقوق الوالد وقلة الرأفة بالصغير الضرع الذى لا ذنب له وبالكبير الفانى ذى الحق والحرمة والفضل وخطره عند الله مع حق الوالد على ولده ليفرقوا بينه وبين أبيه وحبيبه على كبر سنه ورقة عظمه مع مكانه من الله ممن أحبه طفلا صغيرا وبين ابنه على ضعف قوته وصغر سنه وحاجته إلى لطف والده وسكونه إليه يغفر الله لهم وهو أرحم الراحمين فقد احتملوا أمرا عظيما رواه ابن أبى حاتم من طريق سلمة بن الفضل عنه

﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَالَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ * أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

لما تواطأوا على أخذه وطرحه فى البئر كما أشار به عليهم أخوهم الكبير روبيل جاءوا أباهم يعقوب عليه السلام فقالوا ما بالك (لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون) وهذه توطئة ودعوى وهم يريدون خلاف ذلك لما له فى قلوبهم من الحسد لحب أبيه له (أرسله معنا) أى ابعثه معنا (غدا نرتع ونلعب) وقرأ بعضهم بالياء (يرتع ويلعب) قال ابن عباس يسعى وينشط وكذا قال قتادة والضحاك والسدى وغيرهم (وإنا له لحافظون) يقولون ونحن نحفظه ونحوطه من أجلك

﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ * قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن نبيه يعقوب أنه قال لبنيه فى جواب ما سألوا من إرسال يوسف معهم إلى الرعى فى الصحراء (إنى ليحزنى أن تذهبوا به) أى يشق على مفارقته مدة ذهابكم به إلى أن يرجع وذلك لفرط محبته له لما يتوسم فيه من الخير العظيم وشمائل النبوة والكمال فى الخلق والخلق صلوات الله وسلامه عليه . وقوله (وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون) يقول وأخشى أن تشتغلوا عنه برميكم ورعيكم فيأتيه ذئب فيأكله وأنتم لا تشعرون ، فأخذوا من فمه هذه الكلمة وجعلوها عذرهم فيما فعلوه وقالوا مجيبين له عنها فى الساعة الراهنة (لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون) يقولون لئن عدا عليه الذئب فأكله من بيننا ونحن جماعة إنا إذا لها لكون عاجزون

﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾

يقول تعالى فلما ذهب به إخوته من عند أبيه بعد مراجعتهم له فى ذلك (وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابة الجب) هذا فيه تعظيم لما فعلوه أنهم اتفقوا كلهم على إلقائه فى أسفل ذلك الجب وقد أخذوه من عند أبيه فيما يظهرونه له إكراما له وبسطا وشرحا لصدره وإدخالا للسرور عليه فيقال إن يعقوب عليه السلام لما بعثه معهم ضمه إليه وقبله ودعا له. فذكر السدى وغيره أنه لم يكن بين إكرامهم له وبين إظهار الأذى له إلا أن غابوا عن عين أبيه وتواروا عنه ثم شرعوا يؤذونه بالقول من شتم ونحوه والفعل من ضرب ونحوه ثم جاءوا به إلى ذلك الجب الذى اتفقوا على رميه فيه فربطوه بحبل ودلوه فيه فكان إذا لجأ إلى واحد منهم لطمه وشتمه وإذا تشبث بحافات البئر ضربوا على يديه ثم قطعوا به الحبل من نصف المسافة فسقط فى الماء فغمره فصعد إلى صخرة تكون فى وسطه يقال لها الراغوفة فقام فوقها وقوله (وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون) يقول تعالى ذاكرا لطفه ورحمته وعائدته وانزاله اليسر فى حال العسر إنه أوحى إلى يوسف فى ذلك الحال الضيق تطييبا لقلبه وتثبيتا له إنك لا تحزن مما أنت فيه فان لك من ذلك فرجا ومخرجا حسنا وسينصرك الله عليهم ويعليك ويرفع درجتك وستخبرهم بما فعلوا معك من هذا الصنيع وقوله (وهم لا يشعرون) قال مجاهد وقتاده (وهم لا يشعرون) بإيحاء الله إليه وقال ابن عباس ستنبئهم بصنيعهم هذا فى حقك وهم لا يعرفونك ولا يستشعرون بك كما قال ابن حرير حدثنى الحارث ثنا عبد العزيز ثنا صدقة بن عبادة الأسدى عن أبيه سمعت ابن عباس يقول: لما دخل إخوة يوسف عليه فعرفهم وهم له منكرون قال جىء بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال إنه ليخبرنى هذا الجام أنه كان لكم أخ من أبيكم يقال له يوسف يدنيه دونكم وأنكم ألقيتموه فى غيابة الجب قال ثم نفره فطن قال فأتيتم أباكم فقلتم إن الذئب أكله وحثم على قميصه بدم كذب قال فقال بعضهم لبعض إن هذا الجام ليخبره بخبركم قال ابن عباس رضى الله عنهما فلا ترى هذه الآية نزلت إلا فيهم لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون

﴿ وَجَآءُو أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ * قَالُوا يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ * وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن الذى اعتمده إخوة يوسف بعدما ألقوه فى غيابة الجب أنهم رجعوا إلى أبيهم فى ظلمة الليل يبكون ويظهرون الأسف والجزع على يوسف ويتغممون لأبيهم وقالوا معتذرين عما وقع فيما زعموا (إنا ذهبنا نستبق) أى نترامى (وتركنا يوسف عند متاعنا) أى ثيابنا وأمتعتنا (فأكله الذئب) وهو الذى كان قد جزع منه وحذر عليه وقوله (وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين) تلطف عظيم فى تقرير ما يحاولونه يقولون ونحن نعلم أنك لا تصدقنا والحالة هذه لو كنا عندك صادقين فكيف وأنت تتهمنا فى ذلك لأنك خشيت أن يأكله الذئب فأكله الذئب فأنت معذور فى تكذيبك لنا لغرابة ما وقع وعجيب ما اتفق لنا فى أمرنا هذا (وجاءوا على قميصه بدم كذب) أى مكذوب مفترى وهذا من الأفعال التى يؤكدون بها ما تمالئوا عليه من الكيدة وهو أنهم عمدوا إلى سخلة فيما ذكره مجاهد والسدى وغير واحد فذبحوها ولطخوا ثوب يوسف بدمها موهمين أن هذا قميصه الذى أكله فيه الذئب وقد أصابه من دمه ولكنهم نسوا أن يخرقوه فلهذا لم يرج هذا الصنيع على نبى الله يعقوب بل قال لهم معرضا عن كلامهم إلى ما وقع فى نفسه من لبسهم عليه (بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل) أى فأصبر صبرا جميلا على هذا الأمر الذى اتفقتم عليه حتى يفرجه الله لعونه ولطفه (والله المستعان على ما تصفون) أى على ما تذكرون من الكذب والمحال وقال الثورى عن سماك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (وجاءوا على قميصه بدم كذب) قال لو أكله السبع لخرق القميص وكذا قال الشعبى والحسن وقتادة وغير واحد وقال مجاهد الصبر الجميل الذى لا جزع فيه وروى هشيم عن عبد الرحمن بن يحيى عن حبان بن أبى جبلة قال: سئل رسول الله ﷺ عن قوله (فصبر جميل) فقال صبر لا شكوى فيه، وهذا مرسل. وقال عبد الرزاق قال الثورى عن بعض أصحابه أنه قال ثلاث من الصبر: أن لا تحدث

بوجعك ولا بمصيبتك ، ولا تزكى نفسك، وذكر البخارى ههنا حديث عائشة فى الافك حتى ذكر قولها والله لا أجدلى ولكم مثلا إلا كما قال أبو يوسف (فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون)

﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ * وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عما جرى ليوسف عليه السلام فى الجب حين ألقاه إخوته وتركوه فى ذلك الجب وحيدا فريدا فمكث عليه السلام فى البئر ثلاثة أيام فيما قاله أبو بكر بن عياش ، وقال محمد بن إسحق لما ألقاه إخوته فى البئر جلسوا حول البئر يومهم ذلك ينظرون ماذا يصنع وما يصنع به فساق الله له سيارة فنزلوا قريبا من تلك البئر وأرسلوا واردهم وهو الذى ينطلب لهم الماء فلما جاء ذلك البئر وأدلى دلوه فيها تشبث يوسف عليه السلام فيها فأخرجه واستبشر به وقال (يا بشرى هـذا غلام) وقرأ بعض القراء يا بشراى فزعم السدى أنه اسم رجل ناداه ذلك الرجل الذى أدلى دلوه معلما له أنه أصاب غلاما وهذا القول من السدى غريب لأنه لم يسبق إلى تفسير هذه القراءة بهذا إلا فى رواية عن ابن عباس والله أعلم وإنما معنى القراءة على هذا النحو يرجع إلى القراءة الأخرى ويكون قد أضاف البشرى إلى نفسه وحذف ياء الإضافة وهو يريدها كما تقول العرب يا نفس اصبرى ويا غلام أقبل بحذف حرف الاضافة ، ويجوز الكسر حينئذ والرفع وهذا منه ، وتفسرها القراءة الأخرى يا بشراى والله أعلم ، وقوله (وأسروه بضاعة) أى وأسره الواردون من بقية السيارة وقالوا اشتريناه وتبضعناه من أصحاب الماء مخافة أن يشاركوهم فيه إذا علموا خبره قاله مجاهد والسدى وابن جرير هذا قول، وقال العوفى عن ابن عباس قوله (وأسروه بضاعة) يعنى إخوة يوسف أسروا شأنه وكتموا أن يكون أخاهم وكتم يوسف شأنه مخافة أن يقتله إخوته واختار البيع فذكره إخوته لوارد القوم فنادى أصحابه (يابشرى هذا غلام) يباع فباعه إخوته وقوله (والله عليم بما يعملون) أى عليم بما يفعله إخوة يوسف ومشتروه وهو قادر على تغيير ذلك ودفعه ولكن له حكمة وقدر سابق فترك ذلك ليمضى ماقدره وقضاه (ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) وفى هذا تعريض لرسوله محمد ﷺ وإعلام له بأنى عالم بأذى قومك لك وأنا قادر على الانكار عليهم ولكنى سأملى لهم ثم أجعل لك العاقبة والحكم عليهم كما جعلت ليوسف الحكم والعاقبة على إخوته . وقوله (وشروه بثمن بخس دراهم معدودة) يقول تعالى : وباعه إخوته بثمن قليل . قاله مجاهد وعكرمة ، والبخس: هو النقص كما قال تعالى (فلا يخاف بخسا ولا رهقا) أى اعتاض عنه إخوته بثمن دون قليل ومع ذلك كانوا فيه من الزاهدين أى ليس لهم رغبة فيه بل لو سألوه بلا شىء لأجابوا . قال ابن عباس ومجاهد والضحاك: إن الضمير فى قوله (وشروه) عائد على إخوة يوسف ، وقال قتادة بل هو عائد على السيارة والأول أقوى لأن قوله (وكانوا فيه من الزاهدين) إنما أراد إخوته لا أولئك السيارة لأن السيارة استبشروا به وأسروه بضاعة ولو كانوا فيه زاهدين لما اشتروه فترجح من هذا أن الضمير فى (شروه) إنما هو لإخونه وقيل المراد بقوله (بخس) الحرام ، وقيل الظلم وهذا وإن كان كذلك لكن ليس هو المراد هنا لأن هذا معلوم يعرفه كل أحد لأن ثمنه حرام على كل حال وعلى كل أحد لأنه نبى ابن نبى ابن نبى ابن خليل الرحمن فهو الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم وإنما المراد هنا بالبخس الناقص أو الزيوف أو كلاهما أى إنهم إخوته وقد باعوه ومع هذا بأنقص الأثمان ولهذا قال (دراهم معدودة) فعن ابن مسعود رضى الله عنه باعوه بعشرين درهما وكذا قال ابن عباس ونوف البكالى والسدى وقتادة وعطية العوفى وزاد اقتسموها درهمين درهمين ، وقال مجاهد اثنان وعشرون درهما، وقال محمد بن إسحق وعكرمة أربعون درهما وقال الضحاك فى قوله (وكانوا فيه من الزاهدين) وذلك أنهم لم يعلموا نبوته ومنزلته عند الله عز وجل، وقال مجاهد لما باعوه جعلوا يتبعونهم ويقولون لهم استوثقوا منه لا يأبق حتى وقفوه بمصر فقال : من يبتاعنى وليبشر ؟ فاشتراه الملك وكان مسلما

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾

يخبر تعالى بألطافه بيوسف عليه السلام أنه قيض له الذى اشتراه من مصر حتى اعتنى به وأكرمه وأوصى أهله به وتوسم فيه الخير والصلاح فقال لامرأته (أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً) وكان الذى اشتراه من مصر عزيزها وهو الوزير بها . حدثنا العوفى عن ابن عباس وكان اسمه قطفير ، وقال محمد بن إسحق اسمه اطفير بن روحيب وهو العزيز وكان على خزائن مصر وكان الملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق قال واسم امرأته راعيل بنت رعابيل ، وقال غيره اسمها زليخا ، وقال محمد بن إسحق أيضاً عن محمد بن السائب عن أبى صالح عن ابن عباس كان الذى باعه بمصر مالك بن ذعر بن قريب بن عنقا بن مديان بن إبراهيم فالله أعلم وقال أبو إسحق عن أبى عبيدة عن عبد الله ابن مسعود أنه قال : أفرس الناس ثلاثة : عزيز مصر حين قال لامرأته (أكرمى مثواه) والمرأة التى قالت لأبيها (يا أبت استأجره) الآية وأبو بكر الصديق حين استخلف عمر بن الخطاب رضى الله عنهما . يقول تعالى كما أنقذنا يوسف من إخوته (كذلك مكنا ليوسف فى الأرض) يعنى بلاد مصر (ولنعلمه من تأويل الأحاديث) قال مجاهد والسدى هو تعبير الرؤيا (والله غالب على أمره) أى إذا أراد شيئاً فلا برد ولا يمانع ولا يخالف بل هو الغالب لما سواه ، قال سعيد بن جبير فى قوله (والله غالب على أمره) أى فعال لما يشاء ، وقوله (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يقول لا يدرون حكمته فى خلقه وتلطفه وفعله لما يريد ، وقوله (ولما بلغ) أى يوسف عليه السلام (أشده) أى استكمل عقله وتم خلقه (آتيناه حكما وعلما) يعنى النبوة انه حباه بها بين أولئك الأقوام (وكذلك نجزى المحسنين) أى انه كان محسناً فى عمله عاملا بطاعة الله تعالى ، وقد اختلف فى مقدار المدة التى بلغ فيها أشده فقال ابن عباس ومجاهد وقتادة ثلاث وثلاثون سنة وعن ابن عباس بضع وثلاثون ، وقال الضحاك عشرون ، وقال الحسن أربعون سنة ، وقال عكرمة خمس وعشرون سنة ، وقال السدى ثلاثون سنة ، وقال سعيد بن جبير ثمانى عشرة سنة ، وقال الإمام مالك وربيعة بن زيد بن أسلم والشعبى الأشد الحلم وقيل غير ذلك والله أعلم .

﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾

يخبر تعالى عن امرأة العزيز التى كان يوسف فى بيتها بمصر وقد أوصاها زوجها به وبإكرامه فراودته عن نفسه أى حاولته على نفسه ودعته اليها وذلك أنها أحبته حباً شديداً لجماله وحسنه وبهائه فحملها ذلك على أن تجملت له وغلقت عليه الأبواب ودعته إلى نفسها (وقالت هيت لك) فامتنع من ذلك أشد الامتناع و (قال معاذ الله إنه ربى أحسن مثواى) وكانوا يطلقون الرب على السيد والكبير أى إن بعلك ربى أحسن مثواى أى منزلى وأحسن إلىّ فلا أقابله بالفاحشة فى أهله (إنه لا يفلح الظالمون) فال ذلك مجاهد والسدى ومحمد بن إسحق وغيرهم ، وقد اختلف القراء فى قوله (هيت لك) فقرأه كثيرون بفتح الهاء وإسكان الياء وفتح التاء قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد معناه أنها تدعوه إلى نفسها ، وقال على بن أبى طلحة والعوفى عن ابن عباس هيت لك تقول هلم لك وكذا قال زر بن حبيش وعكرمة والحسن وقتادة ، قال عمرو بن عبيد عن الحسن وهى كلمة بالسريانية أى عليك ، وقال السدى هيت لك أى هلم لك وهى بالقبطية ، وقال مجاهد : هى لغة عربية تدعوه بها ، وقال البخارى وقال عكرمة هبت لك أى هلم لك بالحورانية . هكذا ذكره معلقاً وقد

أسنده الإمام أبو جعفر بن جرير حدثنى أحمد بن سهل الواسطى حدثنا قرة بن عيسى حدثنا النضر بن على الجزرى عن عكرمة مولى ابن عباس فى قوله (هيت لك) قال هلم لك قال : هى بالحورانية ، وقال أبو عبيد القاسم بن سلام وكان الكسائى يحكى هذه القراءة يعنى هيت لك ويقول هى لغة لأهل حوران وقعت إلى أهل الحجاز ومعناها تعال ، وقال أبو عبيدة سألت شيخا عالما من أهل حوران فذكر أنها لغتهم يعرفها واستشهد الإمام ابن جرير على هذه القراءة بقول الشاعر لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه .

أبلغ أمير المؤمنـ * ـين أذى العراق إذا أتينا إن العراق وأهله * عنق إليك فهيت هيتا

بقول فتعال واقترب ، وقرأ ذلك آخرون هئت لك بكسر الهاء والهمز وضم التاء بمعنى تهيأت لك من قول القائل هئت بالأمر أهىء هئة ، وممن روى عنه هذه القراءة ابن عباس وأبو عبد الرحمن السلمى وأبو وائل وعكرمة وقتادة وكلهم يفسرها بمعنى تهيأت لك . قال ابن جرير وكان أبو عمرو والكسائى ينكران هذه القراءة ، وقرأ عبد الله بن إسحق هيت بفتح الهاء وكسر التاء وهى غريبة ، وقرأ آخرون منهم عامة أهل المدينة هبت بفتح الهاء وضم التاء وأنشد قول الشاعر :

ليس قومى بالأبعدين إذا ما * قال داع من العشيرة هيت

قال عبد الرزاق أنبأنا الثورى عن الأعمش عن أبى وائل قال : قال ابن مسعود وقد سمع القراء سمعتهم متقاربين فاقرءوا كما علمتم وإياكم والنطع والاختلاف وإنما هو كقول أحدكم هلم وتعال . ثم قرأ عبد الله هيت لك فقال يا أبا عبد الرحمن إن ناسا يقرءونها هيت قال عبد الله أن أقرأها كما علمت أحب إلىّ ، وقال ابن جرير حدثنى ابن وكيع حدثنا ابن عيينة عن منصور عن أبى وائل قال : قال عبد الله : هيت لك فقال له مسروق إن ناسا يقرءونها هيت لك فقال دعونى فإنى أقرأ كما أقرئت أحب إلىّ وقال أيضا حدثنى المثنى حدثنا آدم بن أبى إياس حدثنا شعبة عن شقيق عن ابن مسعود قال : هيت لك بنصب الهاء والتاء ولا تهمز ، وقال آخرون هيت لك بكسر الهاء وإسكان الياء وضم التاء ، قال أبو عبيد معمر بن المثنى هت لا تثنى ولا تجمع ولا تؤنث بل يخاطب الجميع بلفظ واحد فيقال هيت لك وهيت لكم وهيت لكما وهيت لكن وهيت لهن

﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾

اختلفت أقوال الناس وعباراتهم فى هذا المقام ، وقد روى عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وطائفة من السلف فى ذلك ما رواه ابن جرير وغيره والله أعلم ، وقيل المراد بهمه بها خطرات حديث النفس حكاه البغوى عن بعض أهل التحقيق ثم أورد البغوى ههنا حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الله تعالى : إذا هم عبدى بحسنة فاكتبوها له حسنة فان عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها ، وإن هم بسيئة فلم يعملها فاكتبوها حسنة فانما تركها من جرائى فان عملها فاكتبوها بمثلها » وهذا الحديث مخرج فى الصحيحين وله ألفاظ كثيرة هذا منها ، وقيل هم بضربها ، وقيل تمناها زوجة وقيل هم بها لولا أن رأى برهان ربه أى فلم يهم بها ، وفى هذا القول نظر من حيث العربية حكاه ابن جرير وغيره ، وأما البرهان الذى رآه ففيه أقوال أيضا فعن ابن عباس وسعيد ومجاهد وسعيد بن جبير ومحمد بن سيرين والحسن وقتادة وأبى صالح والضحاك ومحمد بن إسحق وغيرهم رأى صورة أبيه يعقوب عاضا على اصبعه بفمه وقيل عنه فى رواية فضرب فى صدر يوسف . وقال العوفى عن ابن عباس رأى خيال الملك يعنى سيده وكذا قال محمد بن إسحق فيما حكاه عن بعضهم انما هو خيال قطفير سيده حين دنا من الباب

وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن أبى مودود سمعت من محمد بن كعب القرظى قال رفع يوسف رأسه الى سقف البيت فاذا كتاب فى حائط البيت (لا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا) وكذا رواه أبو معشر المدنى عن محمد بن كعب . وقال عبد الله بن وهب أخبرنى نافع بن يزيد عن أبى صخر قال سمعت القرظى يقول فى البرهان

الذى رآه يوسف ثلاث آيات من كتاب الله (إن عليكم لحافظين) الآية وقوله (وما تكون فى شأن) الآية وقوله (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) قال نافع سمعت أبا هلال يقول مثل قول القرظى وزاد آية رابعة (ولا تقربوا الزنا) وقال الأوزاعى رأى آية من كتاب الله فى الجدار تنهاه عن ذلك . قال ابن جرير والصواب أن يقال إنه رأى آية من آيات الله تزجره عما كان هم به ، وجائز أن يكون صورة يعقوب وجائز أن يكون صورة الملك وجائز أن يكون مارآه مكتوبا من الزجر عن ذلك ولا حجة قاطعة على تعيين شىء من ذلك ، فالصواب أن يطلق كما قال الله تعالى وقوله (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء) أى كما أريناه برهانا صرفه عما كان فيه كذلك نقيه السوء والفحشاء فى جميع أموره (إنه من عبادنا المخلصين) أى من المجتبين المطهرين المختارين المصطفين الأخيار صلوات الله وسلامه عليه

﴿ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ * وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ * فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ * يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَٱسْتَغْفِرِي لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَٰطِـِٔينَ ﴾

يخبر تعالى عن حالهما حين خرجا يستبقان إلى الباب يوسف هارب والمرأة تطلبه ليرجع إلى البيت ، فلحقته فى أثناء ذلك فأمسكت بقميصه من ورائه ففـدته فداً فظيعا يقال إنه سقط عنه واستمر يوسف هاربا ذاهبا وهى فى إثره فألفيا سيدها وهو زوجها عند الباب فعند ذلك خرجت مما هى فيه بمكرها وكيدها وقالت لزوجها متصلة وقاذفة يوسف بدائها (ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً) أى فاحشة (إلا أن يسجن) أى يحبس (أو عذاب أليم) أى يضرب ضربا شديداً موجعا . فعند ذلك انتصر يوسف عليه السلام بالحق وتبرأ مما رمته به من الخيانة ، و (قال) بارا صادقا (هى راودنى عن نفسى) وذكر أنها اتبعته تجذبه إليها حتى قدت قميصه (وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل) أى من قدامه (فصدقت) أى فى قولها إنه راودها على نفسها لأنه يكون لما دعاها وأبت عليه دفعته فى صدره فقدت قميصة فيصح ما قالت (وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين) وذلك يكون كما وقع لما هرب منها وتطلبته أمسكت بقميصه من ورائه لترده إليها فقدت قميصه من ورائه ، وقد اختلفوا فى هـذا الشاهد هل هو صغير أو كبير ، على قولين لعلماء السلف فقال عبد الرزاق أخبرنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس (وشهد شاهد من أهلها) قال ذو لحية وقال الثورى عن جابر عن ابن أبى مليكة عن ابن عباس كان من خاصة الملك وكذا قال مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والسدى ومحمد بن إسحق وغيرهم إنه كان رجلا ، وقال زيد بن أسلم والسدى كان ابن عمها ، وقال ابن عباس كان من خاصة الملك وقد ذكر ابن إسحق أن زليخا كانت بنت أخت الملك الريان بن الوليد وقال العوفى عن ابن عباس فى قوله (وشهد شاهد من أهلها) قال كان صبيا فى المهد وكذا روى عن أبى هريرة وهلال ابن يساف والحسن وسعيد بن جبير والضحاك بن مزاحم أنه كان صبيا فى الدار واختاره ابن جرير وقد ورد فيه حديث مرفوع فقال ابن جرير حدثنا الحسن بن محمد حدثنا عفان حدثنا حماد هو ابن سلمة أخبرنى عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « تكلم أربعة وهم صغار » فذكر فيهم شاهد يوسف ورواه غيره عن حماد بن سلمة عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال « تكلم أربعة وهم صغار ابن ماشطة بنت فرعون ، وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم » وقال ليث بن أبى سليم عن مجاهد كان من أمر الله تعالى ولم يكن

إنسيا وهذا قول غريب وقوله (فلما رأى قميصه قد من دبر) أى لما تحقق زوجها صدق يوسف وكذبها فيما قذفته ورمته به (قال إنه من كيدكن) أى إن هذا البهت واللطخ الذى لطخت عرض هذا الشاب به من جملة كيدكن (إن كيدكن عظيم) ثم قال آمرا ليوسف عليه السلام بكتمان ما وقع (يوسف أعرض عن هذا) أى اضرب عن هذا صفحا أى فلا تذكره لأحد (واستغفرى لذنبك) يقول لامرأته وقد كان لين العريكة سهلا أو أنه عذرها لأنها رأت مالا صبر لها عنه فقال لها استغفرى لذنبك أى الذى وقع منك من إرادة السوء بهذا الشاب ثم قذفه بما هو برىء منه (إنك كنت من الخاطئين)

﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ * قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ * قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ * فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

يخبر تعالى أن خبر يوسف وامرأة العزيز شاع فى المدينة وهى مصر حتى تحدث به الناس (وقال نسوة فى المدينة) مثل نساء الكبراء والأمراء ينكرن على امرأة العزيز وهو الوزير ويعبن ذلك عليها (امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه) أى تحاول غلامها عن نفسه وتدعوه إلى نفسها (قد شغفها حبا) أى قد وصل حبه إلى شغاف قلبها وهو غلافه قال الضحاك عن ابن عباس: الشغف الحب القاتل والشغف دون ذلك والشغاف حجاب القلب (إنا لنراها فى ضلال مبين) أى فى صنيعها هذا من حبها فتاها ومراودتها إياه عن نفسه (فلما سمعت بمكرهن)قال بعضهم يقولهن ذهب الحب بها وقال محمد بن إسحق بل بلغهن حسن يوسف فأحببن أن يرينه فقلن ذلك ليتوصلن إلى رؤيته ومشاهدته فعند ذلك (أرسلت إليهن) أى دعتهن إلى منزلها لتضيفهن (وأعتدت لهن متكأ) قال ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والحسن والسدى وغيرهم هو المجلس المعد فيه مفارش ومخاد وطعام فيه ما يقطع بالسكاكين من أترج ونحوه ولهذا قال تعالى (وآتت كل واحدة منهن سكينا) وكان هذا مكيدة منها ومقابلة لهن فى احتيالهن على رؤيته (وقالت اخرج عليهن) وذلك أنها كانت قد خبأته فى مكان آخر (فلما) خرج و(رأينه أكبرنه) أى أعظمنه أى أعظمن شأنه وأجللن قدره وجعلن يقطعن أيديهن دهشا برؤيته وهن يظنن أنهن يقطعن الأترج بالسكاكين والمراد أنهن حززن أيديهن بما قاله غير واحد وعن مجاهد وقتادة قطعن أيديهن حتى ألقينها فالله أعلم . وقد ذكر غير واحد أنها قالت لهن بعدما أكلن وطابت أنفسهن ثم وضعت بين أيديهن أترجا وآتت كل واحد منهن سكينا هل لكن فى النظر إلى يوسف ؟ قلن نعم فبعثت إليه تأمره أن اخرج إليهن فلما رأينه جعلن يقطعن أيديهن ثم أمرته أن يرجع ليرينه مقبلا ومدبرا فرجع وهن يحززن فى أيديهن فلما أحسسن بالألم جعلن يولولن فقالت أنتن من نظرة واحدة فعلتن هذا فكيف ألام أنا ؟ (فقلن حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم) ثم قلن لها وما نرى عليك من لوم بعد هذا الذى رأينا ، لأنهن لم يرين فى البشر شبهه ولا قريبا منه فانه عليه السلام كان قد أعطى شطر الحسن كما ثبت ذلك فى الحديث الصحيح فى حديث الاسراء أن رسول الله ﷺ مر بيوسف عليه السلام فى السماء الثالثة قال « فاذا هو قد أعطى شطر الحسن » وقال حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه « أعطى يوسف وأمه شطر الحسن » وقال سفيان الثورى عن أبى إسحق عن أبى الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال أعطى يوسف وأمه ثلث الحسن ، وقال أبو إسحق

أيضا عن أبى الأحوص عن عبد الله قال : كان وجه يوسف مثل البرق وكانت المرأة إذا أتته لحاجة غطى وجهه مخافة أن تفتتن به ورواه الحسن البصرى مرسلا عن النبى ﷺ أنه قال « أعطى يوسف وأمه ثلث حسن أهل الدنيا ، وأعطى الناس الثلثين » أو قال « أعطى يوسف وأمه الثلثين والناس الثلث » وقال سفيان عن منصور عن مجاهد عن ربيعة الحرشى قال : قسم الحسن نصفين فأعطى يوسف وأمه سارة نصف الحسن . والنصف الآخر بين سائر الخلق . وقال الإمام أبو القاسم السهيلى معناه أن يوسف عليه السلام كان على النصف من حسن آدم عليه السلام فان الله خلق آدم بيده على أكمل صورة وأحسنها ولم يكن فى ذريته من يوازيه فى جماله وكان يوسف قد أعطى شطر حسنه فلهذا قال هؤلاء النسوة عند رؤيته (حاش لله) قال مجاهد وغير واحد معاذ الله (ماهذا بشرا) وقرأ بعضهم ماهذا بشرى أى بمشترى بشراء (إن هذا إلا ملك كريم * قالت فذلكن الذى لمتننى فيه) تقول هذا معتذرة اليهن بأن هذا حقيق أن يحب لجماله وكماله (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) أى فامتنع قال بعضهم لما رأين جماله الظاهر أخبرتهن بصفاته الحسنة التى تخفى عنهن وهى العفة مع هذا الجمال ثم قالت تتوعده (ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين) فعند ذلك استعاذ يوسف عليه السلام من شرهن وكيدهن و(قال رب السجن أحب إلى مما يدعوننى إليه) أى من الفاحشة (وإلا تصرف عنى كيدهن أصب إليهن) أى إن وكلتنى إلى نفسى فليس لى منها قدرة ولا أملك لها ضرا ولا نفعا إلا بحولك وقوتك أنت المستعان وعليك التكلان فلا تكلنى إلى نفسى (أصب إليهن وأكن من الجاهلين فاستجاب له ربه) الآية ، وذلك أن يوسف عليه السلام عصمه الله عصمة عظيمة وحماه فامتنع منها أشد الامتناع واختار السجن على ذلك وهذا فى غاية مقامات الكمال أنه مع شبابه وجماله وكماله تدعوه سيدته وهى امرأة عزيز مصر وهى مع هذا فى غاية الجمال والمال والرياسة ويمتنع من ذلك ويختار السجن على ذلك خوفا من الله ورجاء ثوابه

ولهذا ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله ، إمام عادل وشاب نشأ فى عبادة الله . ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود اليه . ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه »

﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ ﴾

يقول تعالى ثم ظهر لهم من المصلحة فيما رأوه أنهم يسجنونه إلى حين أى إلى مدة وذلك بعد ما عرفوا براءته وظهرت الآيات وهى الأدلة على صدقه فى عفته ونزاهته وكأنهم والله أعلم إنما سجنوه لما شاع الحديث إيهاما أنه راودها عن نفسها وأنهم سجنوه على ذلك . ولهذا لما طلبه الملك الكبير فى آخر المدة امتنع من الخروج حتى تتبين براءته مما نسب اليه من الخيانة . فلما تقرر ذلك خرج وهو نقى العرض صلوات الله عليه وسلامه . وذكر السدى أنهم إنما سجنوه لئلا يشيع ما كان منها فى حقه ويبرأ عرضه فيفضحها

﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

قال قتادة كان أحدهما ساقى الملك والآخر خبازه . قال محمد بن إسحق كان اسم الذى على الشراب نبوا والآخر مجلث. قال السدى كان سبب حبس الملك إياهما أنه توهم أنهما تمالآ على سمه فى طعامه وشرابه وكان يوسف عليه السلام قد اشتهر فى السجن بالجود والأمانة وصدق الحديث وحسن السمت وكثرة العبادة صلوات الله عليه وسلامه . ومعرفة التعبير والإحسان إلى أهل السجن وعيادة مرضاهم والقيام بحقوقهم . ولما دخل هذان الفتيان إلى السجن تآلفا به وأحباه حبا شديدا وقالا له : والله لقد أحببناك حبا زائدا . قال بارك الله فيكما إنه ما أحبنى أحد إلا دخل على من محبته

ضرر ، أحبتنى عمتى فدخل علىّ الضرر بسببها ، وأحبنى أبى فأوذيت بسببه ، وأحبتنى امرأة العزيز فكذلك ، فقالا والله مانستطيع إلا ذلك ، ثم إنهما رأيا مناما فرأى الساقى أنه يعصر خمرا يعنى عنبا وكذلك هى فى قراءة عبدالله بن مسعود إنى أرانى أعصر عنبا ، ورواه ابن أبى حاتم عن أحمد بن سنان عن يزيد بن هرون عن شريك عن الأعمش عن زيد ابن وهب عن ابن مسعود أنه قرأها أعصر عنبا . وقال الضحاك فى قوله (إنى أرانى أعصر خمرا) يعنى عنبا ، قال وأهل عمان يسمون العنب خمرا ، وقال عكرمة : قال له إنى رأيت فيما يرى النائم أنى غرست حبلة من عنب فنبتت فخرج فيها عناقيد فعصرتهن ثم سقيتهن الملك فقال : تمكث فى السجن ثلاثة أيام ثم تخرج فتسقيه خمرا . وقال الآخر وهو الخباز (إنى أرانى أحمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله) الآية والمشهور عند الأكثرين ماذكرناه أنهما رأيا مناما وطلبا تعبيره . وقال ابن جرير حدثنا وكيع وابن حميد قالا حدثنا جرير عن عمارة بن القعقاع عن إبراهيم عن عبد الله ابن مسعود قال : مارأى صاحبا يوسف شيئا إنما كانا تحالما ليجربا عليه

﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ *وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾

يخبرهما يوسف عليه السلام أنهما مهما رأيا فى منامهما من حلم فانه عارف بتفسيره ويخبرهما بتأويله قبل وقوعه ولهذا قال (لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله) قال مجاهد يقول (لا يأتيكما طعام ترزقانه) فى يومكما (إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما) وكذا قال السدى وقال ابن أبى حاتم رحمه الله حدثنا على بن الحسين حدثنا محمد بن العلاء حدثنا محمد بن يزيد شيخ له حدثنا رشدين عن الحسن بن ثوبان عن عكرمة عن ابن عباس قال : ما أدرى لعل يوسف عليه السلام كان يعتاف وهو كذلك لأنى أجد فى كتاب الله حين قال للرجلين (لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله) قال إذا جاء الطعام حلوا أو مرا اعتاف عند ذلك . ثم قال ابن عباس إنما علم فعلم وهذا أثر غريب ثم قال وهذا إنما هو من تعليم الله إياى لأنى اجتنبت ملة الكافرين بالله واليوم الآخر فلا يرجون ثوابا ولا عقابا فى المعاد (واتبعت ملة آبائى إبراهيم وإسحق ويعقوب) الآية يقول هجرت طريق الكفر والشرك وسلكت طريق هؤلاء المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهكذا يكون حال من سلك طريق الهدى واتبع طريق المرسلين وأعرض عن طريق الضالين فإن الله يهدى قلبه ويعلمه مالم يكن يعلم ويجعله إماما يقتدى به فى الخير وداعيا إلى سبيل الرشاد (ما كان لنا أن نشرك بالله من شىء ، ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس) هذا التوحيد وهو الإقرار بأنه لا إله إلا الله وحده لاشريك له (من فضل الله علينا) أى أوحاه الينا وأمرنا به (وعلى الناس) إذ جعلنا دعاة لهم إلى ذلك (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) أى لا يعرفون نعمة الله عليهم بإرسال الرسل اليهم بل (بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار) وقال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو معاوية حدثنا حجاج عن عطاء عن ابن عباس أنه كان يجعل الجد أبا ويقول والله لمن شاء لاعنته عند الحجر ماذكر الله جدا ولا جدة قال الله تعالى يعنى إخبارا عن يوسف (واتبعت ملة آبائى إبراهيم وإسحق ويعقوب)

﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ *مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

ثم إن يوسف عليه السلام أقبل على الفتيين بالمخاطبة والدعاء لهما إلى عبادة الله وحده لا شريك له وخلع ماسواه من الأوثان التى يعبدها قومهما فقال (أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار) أى الذى ذل كل شىء لعز جلاله وعظمة سلطانه ، ثم بين لهما أن التى يعبدونها ويسمونها آلهة إنما هو جعل منهم وتسمية من تلقاء أنفسهم تلقاها خلفهم عن سلفهم وليس لذلك مستند من عند الله ولهذا قال (ما أنزل الله بها من سلطان) أى حجة ولا برهان ، ثم أخبرهم أن الحكم والتصرف والمشيئة والملك كله لله وقد أمر عباده قاطبة أن لا يعبدوا إلا إياه ثم قال تعالى (ذلك الدين القيم) أى هذا الذى أدعوكم إليه من توحيد الله وإخلاص العمل له هو الدين المستقيم الذى أمر الله به وأنزل به الحجة والبرهان الذى يحبه ويرضاه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أى فلهذا كان أكثرهم مشركين (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) وقد قال ابن جريج إنما عدل بهم يوسف عن تعبير الرؤيا إلى هذا لأنه عرف أنها ضارة لأحدهما فأحب أن يشغلهما بغير ذلك لئلا يعاودوه فيها فعاودوه فأعاد عليهم الموعظة ، وفى هذا الذى قاله نظر لأنه قد وعدهما أولا بتعبيرها ولكن جعل سؤالهما له على وجه التعظيم والاحترام وصلة وسببا إلى دعائهما إلى التوحيد والإسلام لما رأى فى سجيتهما من قبول الخير والاقبال عليه والإنصات إليه ، ولهذا لما فرغ من دعوتهما شرع فى تعبير رؤياهما من غير تكرار سؤال فقال .

﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾

يقول لهما (يا صاحبى السجن أما أحدكما فيسقى ربه خمرا) وهو الذى رأى أنه يعصر خمرا ولكنه لم يعينه لئلا يحزن ذاك ولهذا أبهمه فى قوله (وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه) وهو فى نفس الأمر الذى رأى أنه يحمل فوق رأسه خبزا ثم أعلمهما أن هذا قد فرغ منه وهو واقع لامحالة لأن الرؤيا على رجل طائر مالم تعبر فإذا عبرت وقعت ، وقال الثورى عن عمارة بن القعقاع عن إبراهيم بن عبدالله قال : لما قالا ما قالا وأخبرهما قالا ما رأينا شيئا فقال (قضى الأمر الذى فيه تستفيان) ورواه محمد بن فضيل عن عمارة عن إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود به وكذا فسره مجاهد وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم وحاصله أن من تحلم بباطل وفسره فانه يلزم بتأويله والله تعالى أعلم ، وقد ورد فى الحديث الشريف الذى رواه الإمام أحمد عن معاوية بن حيدة عن النبى ﷺ قال « الرؤيا على رجل طائر مالم تعبر فإذا عبرت وقعت » وفى مسند أبى يعلى من طريق يزيد الرقاشى عن أنس مرفوعا « الرؤيا لأول عابر »

﴿ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾

ولما ظن يوسف عليه السلام أن الساقى ناج قال له يوسف خفية عن الآخر والله أعلم — لئلا يشعره أنه المصلوب — قال له (اذكرنى عند ربك) يقول اذكر قصتى عند ربك وهو الملك فنسى ذلك الموصى أن يذكر مولاه الملك بذلك وكان من جملة مكايد الشيطان لئلا يطلع نبى الله من السجن هذا هو الصواب أن الضمير فى قوله (فأنساه الشيطان ذكر ربه) عائد على الناجى كما قاله مجاهد ومحمد بن إسحق وغير واحد ويقال إن الضمير عائد على يوسف عليه السلام رواه ابن جرير عن ابن عباس ومجاهد أيضا وعكرمة وغيرهم وأسند ابن جرير ههنا حديثا فقال : حدثنا ابن وكيع حدثنا عمرو بن محمد عن إبراهيم بن يزيد عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعا قال : قال النبى ﷺ «لو لم يقل — يعنى يوسف — الكلمة التى قال ما لبث فى السجن طول ما لبث حيث يبتغى الفرج من عند غير الله » وهذا الحديث ضعيف جدا لأن سفيان بن وكيع ضعيف وإبراهيم بن يزيد هو الجوزى أضعف منه أيضا ، وقد روى عن الحسن وقتادة مرسلا عن كل منهما وهذه المرسلات ههنا لا تقبل من قبل المرسل من حيث هو فى غير هذا الموطن والله أعلم ، وأما البضع فقال مجاهد وقتادة : هو مابين الثلاث إلى التسع ، وقال وهب بن منبه : مكث أيوب فى البلاء سبعا

ويوسف فى السجن سبعا وعذب بختنصر سبعا ، وقال الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما (فلبث فى السجن بضع سنين) قال ثنتا عشرة سنة ، وقال الضحاك أربعة عشرة سنة

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّى أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ * قَالُوٓا أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ * وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ * يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ * قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾

هذه الرؤيا من ملك مصر مما قدر الله تعالى أنها كانت سبباً لخروج يوسف عليه السلام من السجن معززا مكرما، وذلك أن الملك رأى هـذه الرؤيا فهالته وتعجب من أمرها وما يكون تفسيرها فجمع الكهنة والحادة وكبار دولته وأمراءه فقص عليهم ما رأى وسألهم عن تأويلها فلم يعرفوا ذلك واعتذروا إليه بأنها (أضغاث أحلام) أى أخلاط أحلام اقتضته رؤياك هذه (وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين) أى لو كانت رؤيا صحيحة من أخلاط لما كان لنا معرفة بتأويلها وهو تعبيرها فعند ذلك تذكر الذى نجا من ذينك الفتيين اللذين كانا فى السجن مع يوسف وكان الشيطان قد أنساه ما وصاه به يوسف من ذكر أمره للملك فعند ذلك تذكر بعد أمة أى مدة وقرأ بعضهم بعد أمه أى بعد نسيان فقال لهم أى للملك والذين جمعهم لذلك (أنا أنبئكم بتأويله) أى بتأويل هذا المنام (فأرسلون) أى فابعثون إلى يوسف الصـديق إلى السجن ، ومعنى الـكلام فبعثوه فجاء فقال (يوسف أيها الصديق أفتنا) وذكر المنام الذى رآه الملك فعند ذلك ذكر له يوسف عليه السلام تعبيرها من غير تعنيف للفتى فى نسيانه ما وصاه به ومن غير اشتراط للخروج قبـل ذلك بل قال (تزرعون سبع سنين دأبا) أى يأتيكم الخصب والمطر سبع سنين متواليات ففسر البقر بالسنين لأنها تثير الأرض التى تشتغل منها الثمرات والزروع وهن السنبلات الخضر ثم أرشدهم إلى ما يعتدونه فى تلك السنين فقال (فما حصدتم فذروه فى سنبله إلا قليلا ممـا تأكلون) أى مهما استغللتم فى هـذه السبع السنين الخصب فادخروه فى سنبله ليـكون أبقى له وأبعـد عن إسراع الفساد إليـه إلا المقدار الذى تأكلونه وليـكن قليلا قليلا لا تسرفوا فيه لتنتفعوا فى السبع الشداد وهن السبع السنين المحل التى تعقب هذه السبع المتواليات وهن البقرات العجاف اللاتى تأكل السمان لأن سنى الجدب يؤكل فيها ما جمعوه فى سنى الخصب وهن السنبلات اليابسات وأخبرهم أنهن لا ينبتن شيئا وما بذروه فلا يرجعون منه إلى شىء ولهذا قال (يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون) ثم بشرهم بعـد الجدب العام المتوالى بأنه يعقبهم بعد ذلك عام فيـه يغاث النـاس أى يأتيهم الغيث وهو المطر وتغل البلاد ويعصر الناس ما كانوا يعصرون على عادتهم من زيت ونحوه وسكر ونحوه حتى قال بعضهم : يدخل فيه حلب اللبن أيضا . قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (وفيه يعصرون) يحلبون

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ

أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ * قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ * وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

يقول تعالى إخبارا عن الملك لما رجعوا إليه بتعبير رؤياه التى كان رآها بما أعجبه وأينقه فعرف فضل يوسف عليه السلام وعلمه وحسن اطلاعه على رؤياه وحسن أخلاقه على من ببلده من رعاياه فقال (ائتونى به) أى أخرجوه من السجن وأحضروه فلما جاءه الرسول بذلك امتنع من الخروج حتى يتحقق الملك ورعيته براءة ساحته ونزاهة عرضه مما نسب إليه من جهة امرأة العزيز وأن هذا السجن لم يكن على أمر يقتضيه بل كان ظلما وعدوانا فقال (ارجع إلى ربك) الآية وقد وردت السنة بمدحه على ذلك والتنبيه على فضله وشرفه وعلو قدره وصبره صلوات الله وسلامه عليه. ففى المسند والصحيحين من حديث الزهرى عن سعيد وأبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «نحن أحق بالشك من إبراهيم إذا قال (رب أرنى كيف تحيي الموتى) ـ الآية ـ ويرحم الله لوطا لقد كان يأوى إلى ركن شديد، ولو لبثت فى السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعى » وفى لفظ لأحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة عن النبى ﷺ فى قوله (فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيدهن إن ربى بكيدهن عليم) فقال رسول الله ﷺ « لو كنت أنا لأسرعت الإجابة وما ابتغيت العذر » وقال عبد الرزاق أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة قال: قال رسول الله ﷺ « لقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما أجبتهم حتى أشترط أن يخرجونى ، ولقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه والله يغفر له حين أتاه الرسول ولو كنت مكانه لبادرتهم الباب ولكنه أراد أن يكون له العذر» هذا حديث مرسل وقوله تعالى (قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه) إخبار عن الملك حين جمع النسوة اللاتى قطعن أيديهن عند امرأة العزيز فقال مخاطبا لهن كلهن وهو يريد امرأة وزيره وهو العزيز قال الملك للنسوة اللاتى قطعن أيديهن (ما خطبكن) أى شأنكن وخبركن (إذ راودتن يوسف عن نفسه) يعنى يوم الضيافة (قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء) أى قالت النسوة جوابا للملك حاش لله أن يكون يوسف منهما والله ما علمنا عليه من سوء فعند ذلك (قالت امرأة العزيز الآن حصص الحق) قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد تقول الآن تبين الحق وظهر وبرز (أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) أى فى قوله (هى راودتنى عن نفسى) (ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب) تقول إنما اعترفت بهذا على نفسى ليعلم زوجى أنى لم أخنه بالغيب فى نفس الأمر ولا وقع المحذور الأكبر وإنما راودت هذا الشاب مراودة فامتنع فلهذا اعترفت ليعلم أنى بريئة (وأن الله لا يهدى كيد الخائنين * وما أبرىء نفسى) تقول المرأة ولست أبرىء نفسى فان النفس تتحدث وتتمنى ولهذا راودته لأن (النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى) أى إلا من عصمه الله تعالى (إن ربى غفور رحيم) وهذا القول هو الأشهر والأليق والأنسب بسياق القصة ومعانى الكلام وقد حكاه الماوردى فى تفسيره وانتدب لنصره الإمام أبو العباس بن تيمية رحمه الله فأفرده بتصنيف على حدة وقد قيل إن ذلك من كلام يوسف عليه السلام يقول (ذلك ليعلم أنى لم أخنه) فى زوجته (بالغيب) الآيتين أى إنما رددت الرسول ليعلم الملك براءتى وليعلم العزيز (أنى لم أخنه) فى زوجته (بالغيب وأن الله لا يهدى كيد الخائنين) الآية وهذا القول هو الذى لم يحك ابن جرير ولا ابن أبى حاتم سواه . قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما جمع الملك النسوة فسألهن هل راودتن يوسف عن نفسه ؟ (قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء ، قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق) الآية قال يوسف (ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب) فقال له جبريل عليه السلام : ولا يوم همت بما هممت به ؟ فقال (وما أبرىء نفسى) الآية وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة

وابن أبى الهذيل والضحاك والحسن وقتادة والسدى والقول الأول أقوى وأظهر لأن سياق الكلام كله من كلام امرأة العزيز بحضرة الملك ولم يكن يوسف عليه السلام عندهم بل بعد ذلك أحضره الملك

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ * قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾

يقول تعالى إخبارا عن الملك حين تحقق براءة يوسف عليه السلام ونزاهة عرضه مما نسب إليه قال (ائتونى به أستخلصه لنفسى) أى أجعله من خاصتى وأهل مشورتى (فلما كلمه) أى خاطبه الملك وعرفه ورأى فضله وبراعته وعلم ما هو عليه من خلق وخلق وكمال قال له الملك (إنك اليوم لدينا مكين أمين) أى إنك عندنا قد بقيت ذا مكانة وأمانة فقال يوسف عليه السلام (اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم) مدح نفسه ويجوز للرجل ذلك إذا جهل أمره للحاجة، وذكر أنه (حفيظ) أى خازن أمين (عليم) ذو علم وبصيرة بما يتولاه . وقال شيبة بن نعامة : حفيظ لما استودعتنى عليم بسنى الجدب رواه ابن أبى حاتم وسأل العمل لعلمه بقدرته عليه ولما فيه من المصالح للناس وإنما سأله أن يجعله على خزائن الأرض وهى الأهرام التى يجمع فيها الغلات لما يستقبلونه من السنين التى أخبرهم بشأنها فيتصرف لهم على الوجه الأحوط والأصلح والأرشد فأجيب إلى ذلك رغبة فيه وتكرمة له ولهذا قال تعالى

﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ * وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾

يقول تعالى (وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض) أى أرض مصر (يتبوأ منها حيث يشاء) قال السدى وعبد الرحمن ابن زيد بن أسلم يتصرف فيها كيف يشاء ، وقال ابن جرير يتخذ منها منزلا حيث يشاء بعد الضيق والحبس والإسار (نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين) أى وما أضعنا صبر يوسف على أذى إخوته وصبره على الحبس بسبب امرأة العزيز فلهذا أعقبه الله عزوجل السلام والنصر والتأييد (ولا نضيع أجر المحسنين * ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون) يخبر تعالى أن ما ادخره الله تعالى لنبيه يوسف عليه السلام فى الدار الآخرة أعظم وأكثر وأجل مما خوله من التصرف والنفوذ فى الدنيا كقوله فى حق سليمان عليه السلام (هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب * وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) والغرض أن يوسف عليه السلام ولاه ملك مصر الريان بن الوليد الوزارة فى بلاد مصر مكان الذى اشتراه من مصر زوج التى راودته وأسلم الملك على يدى يوسف عليه السلام. قاله مجاهد

وقال محمد بن إسحق لما قال يوسف للملك (اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم) قال الملك قد فعلت فولاه فيما ذكروا عمل اطفير وعزل اطفير عما كان عليه ، يقول الله عزوجل (وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين) قال فذكر لى والله أعلم أن اطفير هلك فى تلك الليالى وأن الملك الريان بن الوليد زوّج يوسف امرأة اطفير راعيل وأنها حين دخلت عليه قال لها : أليس هذا خيرا مما كنت تريدين ؟ قال فيزعمون أنها قالت أيها الصديق لا تلمنى فانى كنت امرأة كما ترى حسناء جميلة ناعمة فى ملك ودنيا وكان صاحبى لا يأتى النساء وكنت كما جعلك الله فى حسنك وهيئتك على ما رأيت ، فيزعمون أنه وجدها عذراء فأصابها فولدت له رجلين افرايثيم بن يوسف وميشا بن يوسف وولد لافرايثيم نون والد يوشع بن نون ورحمة امرأة أيوب عليه السلام ، وقال الفضيل بن عياض وقفت امرأة العزيز على ظهر الطريق حتى مر يوسف فقالت : الحمد لله الذى جعل العبيد ملوكا بطاعته ، والملوك عبيدا بمعصيته .

﴿ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ * وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ

لَكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ * فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ * قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ * وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

ذكر السدى ومحمد بن إسحق وغيرهما من المفسرين أن السبب الذى أقدم إخوة يوسف بلاد مصر أن يوسف عليه السلام لما باشر الوزارة بمصر ومضت السبع السنين المخصبة ثم تلتها السبع السنين المجدبة وعم القحط بلاد مصر بكمالها ووصل إلى بلاد كنعان وهى التى فيها يعقوب عليه السلام وأولاده ، وحينئذ احتاط يوسف عليه السلام للناس فى غلاتهم وجمعها أحسن جمع فحصل من ذلك مبلغ عظيم وهدايا متعددة هائلة وورد عليه الناس من سائر الأقاليم والمعاملات ، يمتارون لأنفسهم وعيالهم فكان لا يعطى الرجل أكثر من حمل بعير فى السنة ، وكان عليه السلام لا يشبع نفسه ولا يأكل هو والملك وجنودهما إلا أكلة واحدة فى وسط النهار حتى يتكفأ الناس بما فى أيديهم مدة السبع سنين وكان رحمة من الله على أهل مصر . وما ذكره بعض المفسرين من أنه باعهم فى السنة الأولى بالأموال ، وفى الثانية بالمتاع وفى الثالثة بكذا بكذا . وفى الرابعة بكذا حتى باعهم بأنفسهم وأولادهم بعد ما تملك عليهم جميع ما يملكون ، ثم أعتقهم ورد عليهم أموالهم كلها ، الله أعلم بصحة ذلك وهو من الإسرائيليات التى لا تصدق ولا تكذب ، والغرض أنه كان فى جملة من ورد للميرة إخوة يوسف عن أمر أبيهم لهم فى ذلك فانه بلغهم أن عزيز مصر يعطى الناس الطعام بثمنه فأخذوا معهم بضاعة يعاضون بها طعاما وركبوا عشرة نفر واحتبس يعقوب عليه السلام عنده ابنه بنيامين شقيق يوسف عليه السلام وكان أحب ولده إليه بعد يوسف ، فلما دخلوا على يوسف وهو جالس فى أبهته ورياسته وسيادته عرفهم حين نظر إليهم وهم له منكرون أى لا يعرفونه لأنهم فارقوه وهو صغير حدث وباعوه للسيارة ولم يدروا أن يذهبون به ولا كانوا يستشعرون فى أنفسهم أن يصير إلى ما صار إليه ، فلهذا لم يعرفوه ، وأما هو فعرفهم. فذكر السدى وغيره أنه شرع يخاطبهم فقال لهم كالمنكر عليهم ما أقدمكم بلادى ؟ فقالوا أيها العزيز إنا قدمنا للميرة ، قال فلعلكم عيون ؟ قالوا معاذ الله ، قال فمن أين أنتم ؟ قالوا من بلاد كنعان وأبونا يعقوب نبى الله ، قال وله أولاد غيركم ؟ قالوا نعم كنا اثنى عشر فذهب أصغرنا هلك فى البرية وكان أحبنا إلى أبيه وبقى شقيقه فاحتبسه أبوه ليتسلى به عنه ، فأمر بإنزالهم وإكرامهم (ولما جهزهم بجهازهم) أى أوفى لهم كيلهم وحمل لهم أحمالهم قال ائتونى بأخيكم هذا الذى ذكرتم لأعلم صدقكم فيما ذكرتم (ألا ترون أنى أوفى الكيل وأنا خير المنزلين ؟) يرغبهم فى الرجوع اليه ، ثم رهبهم فقال (فإن لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى) الآية . أى إن لم تقدموا به معكم فى المرة الثانية فليس لكم عندى ميرة (ولا تقربون * قالوا سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون) أى سنحرص على مجيئه إليك بكل ممكن ولا نبقى مجهودا لنعلم صدقنا فيما قلناه ، وذكر السدى أنه أخذ منهم رهائن حتى يقدموا به معهم وفى هذا نظر لأنه أحسن اليهم ورعبهم كثيرا وهذا لحرصه على رجوعهم (وقال لفتيانه) أى غلمانه (اجعلوا بضاعتهم) أى التى قدموا بها ليمتاروا عوضا عنها (فى رحالهم) أى فى أمتعتهم من حيث لا يشعرون (لعلهم يرجعون) بها ، قيل خشى يوسف عليه السلام أن لا يكون عندهم بضاعة أخرى يرجعون للميرة بها ، وقيل تدمم أن يأخذ من أبيه وإخوته عوضا عن الطعام ، وقيل أراد أن يردهم إذا وجدوها فى متاعهم تحرجا وتورعا لأنه يعلم ذلك منهم والله أعلم

﴿ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ * قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾

يقول تعالى عنهم إنهم رجعوا إلى أبيهم (قالوا يا أبانا منع منا الكيل) يعنون بعد هذه المرة إن لم ترسل معنا أخانا

بنيامين لانكتل فأرسله معنا نكتل وإنا له لحافظون ، قرأ بعضهم بالياء أى يكتل هو (وإناله لحافظون) أى لا نخف عليه فانه سيرجع اليك وهذا كما قالوا له فى يوسف (أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإناله لحافظون) ولهذا قال لهم (هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل) أى هل أنتم صانعون به إلا كما صنعتم بأخيه من قبل ، تغيبونه عنى وتحولون بينى وبينه ؟ (فالله خير حافظا) وقرأ بعضهم حفظا (وهو أرحم الراحمين) أى هو أرحم الراحمين بى وسيرحم كبرى وضعفى ووجدى بولدى وأرجو من الله أن يرده على ويجمع شملى به إنه أرحم الراحمين .

﴿ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ * قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾

يقول تعالى . ولما فتح إخوة يوسف متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم وهى التى كان أمر يوسف فتيانه بوضعها فى رحالهم فلما وجدوها فى متاعهم (قالوا يا أبانا مانبغى) أى ماذا نريد (هذه بضاعتنا ردت إلينا) كما قال قتادة . مانبغى وراء هذا إن بضاعتنا ردت إلينا وقد أوفى لنا الكيل (ونمير أهلنا) أى إذا أرسلت أخانا معنا نأتى بالميرة إلى أهلنا (ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير) وذلك أن يوسف عليه السلام كان يعطى كل رجل حمل بعير ، وقال مجاهد حمل حمار ، وقد يسمى فى بعض اللغات بعيرا ، كذا قال (ذلك كيل يسير) هذا من تمام الكلام وتحسينه أى إن هذا يسير فى مقابلة أخذ أخيهم ما يعدل هذا (قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله) أى تحلفون بالعهود والمواثيق (لتأتننى به إلا أن يحاط بكم) إلا أن تغلبوا كلكم ولا تقدرون على تخليصه (فلما آتوه موثقهم) أكده عليهم فقال (الله على ما نقول وكيل) قال ابن إسحق وإنما فعل ذلك لأنه لم يجد بدا من بعثهم لأجل الميرة التى لاغنى لهم عنها فبعثه معهم .

﴿ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ * وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

يقول تعالى إخبارا عن يعقوب عليه السلام أنه أمر بنيه لما جهزهم مع أخيهم بنيامين إلى مصر أن لايدخلوا كلهم من باب واحد وليدخلوا من أبواب متفرقة فانه كما قال ابن عباس ومحمد بن كعب ومجاهد والضحاك وقتادة والسدى وغير واحد انه خشى عليهم العين وذلك أنهم كانوا ذوى جمال وهيئة حسنة ومنظر وبهاء فخشى عليهم أن يصيبهم الناس بعيونهم فإن العين حق تستنزل الفارس عن فرسه وروى ابن أبى حاتم عن إبراهيم النخعى فى قوله (وادخلوا من أبواب متفرقة) قال علم أنه سيلقى إخوته فى بعض تلك الأبواب وقوله (وما أغنى عنكم من الله من شىء) أى ان هذا الاحتراز لايرد قدر الله وقضاءه فان الله إذا أراد شيئا لايخالف ولايمانع (إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون * ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغنى عنهم من الله من شىء إلا حاجة فى نفس يعقوب قضاها) قالوا هى دفع إصابة العين لهم (وإنه لذو علم لما علمناه) . قال قتادة والثورى لذو عمل بعلمه ، وقال ابن جرير لذو علم لتعليمنا إياه (ولكن أكثر الناس لايعلمون)

﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

يخبر تعالى عن إخوة يوسف لما قدموا على يوسف ومعهم أخوه شقيقه بنيامين وأدخلهم دار كرامته ومنزل ضيافته وأفاض عليهم الصلة والإلطاف والإحسان واختلى بأخيه فأطلعه على شأنه وما جرى له وعرفه أنه أخوه ، وقال له لاتبتئس أى لا تأسف على ما صنعوا بى وأمره بكتمان ذلك عنهم وأن لايطلعهم على ماأطلعه عليه من أنه أخوه ، وتواطأ معه أنه سيحتال على أن يبقيه عنده معززا مكرما معظما

﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ * قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ * قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴾

لما جهزهم وحمل لهم أبعرتهم طعاما أمر بعض فتيانه أن يضع السقاية وهى إناء من فضة فى قول الأكثرين ، وقيل من ذهب قاله ابن زيد كان يشرب فيه ويكيل للناس به من عزة الطعام إذ ذاك قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وعبد الرحمن بن زيد ، وقال شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس صواع الملك قال : كان من فضة يشربون فيه وكان مثل المكوك ، وكان للعباس مثله فى الجاهلية ، فوضعها فى متاع بنيامين من حيث لا يشعر أحد ثم نادى مناد بينهم (أيتها العير إنكم لسارقون) فالتفتوا إلى المنادى وقالوا (ماذا تفقدون * قالوا نفقد صواع الملك) أى صاعه الذى يكيل به (ولمن جاء به حمل بعير) وهذا من باب الجعالة (وأنا به زعيم) وهذا من باب الضمان والكفالة

﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ * قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ * قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ * فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾

لما انهمهم أولئك الفتيان بالسرقة قال لهم إخوة يوسف (تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الأرض وما كنا سارقين) أى لقد تحققتم وعلمتم منذ عرفتمونا لأنهم شاهدوا منهم سيرة حسنة أنا (ما جئنا لنفسد فى الأرض وما كنا سارقين) أى ليست سجايانا تقتضى هذه الصفة فقال لهم الفتيان (فما جزاؤه) أى السارق إن كان فيكم (إن كنتم كاذبين) أى أى شىء يكون عقوبته إن وجدنا فيكم من أخذه ؟ (قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه كذلك نجزى الظالمين) وهكذا كانت شريعة إبراهيم عليه السلام أن السارق يدفع إلى المسروق منه ، وهذا هو الذى أراد يوسف عليه السلام ولهذا بدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه أى فتشها قبله تورية (ثم استخرجها من وعاء أخيه) فأخذه منهم بحكم اعترافهم والتزامهم وإلزاما لهم بما يعتقدونه ولهذا قال تعالى (كذلك كدنا ليوسف) وهذا من الكيد المحبوب المراد الذى يحبه الله ويرضاه لما فيه من الحكمة والمصلحة المطلوبة . وقوله (ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك) أى لم يكن له أخذه فى حكم ملك مصر قاله الضحاك وغيره وإنما قيض الله له أن التزم له اخوته بما التزموه وهو كان يعلم ذلك من شريعتهم ولهذا مدحه الله تعالى فقال (نرفع درجات من نشاء) كما قال تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم) الآية (وفوق كل ذى علم عليم) قال الحسن البصرى ليس عالم إلا فوقه عالم حتى ينتهى إلى الله عز وجل ، وكذا روى عبد الرزاق عن سفيان الثورى عن عبد الأعلى الثعلبى عن سعيد بن جبير قال كنا عند ابن عباس فحدث بحديث عجيب فتعجب رجل فقال : الحمد لله فوق كل ذى علم علم ، فقال ابن عباس بئس ماقلت ، الله العليم فوق كل عالم ، وكذا روى سماك عن عكرمة

عن ابن عباس (وفوق كل ذى علم عليم) قال يكون هذا أعلم من هذا وهذا أعلم من هذا والله فوق كل عالم وهكذا قال عكرمة وقال قتادة: وفوق كل ذى علم عليم. حتى ينتهى العلم إلى الله ، منه بدىء وتعلمت العلماء واليه يعود ، وفى قراءة عبد الله وفوق كل عالم عليم

﴿ قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾

وقال إخوة يوسف لما رأوا الصواع قد أخرج من متاع بنيامين (إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل) يتنصلون إلى العزيز من التشبه به ويذكرون أن هذا فعل كما فعل أخ له من قبل يعنون به يوسف عليه السلام قال سعيد بن جبير عن قتادة كان يوسف عليه السلام قد سرق صنما لجده أبى أمه فكسره ، وقال محمد بن إسحق عن عبد الله بن أبى نجيح عن مجاهد قال كان أول ما دخل على يوسف من البلاء فيما بلغنى أن عمته ابنة إسحق وكانت أكبر ولد إسحق وكانت عندها منطقة إسحق وكانوا يتوارثونها بالكبر وكان من اختبأها ممن وليها كان له سلما لا ينازع فيه يصنع فيه ما يشاء ، وكان يعقوب حين ولد له يوسف قد حضنته عمته وكان لها به وله فلم تحب أحدا حبها إياه حتى إذا ترعرع وبلغ سنوات تاقت إليه نفس يعقوب عليه السلام فأتاها فقال يا أخية سلمى إلىّ يوسف فوالله ما أقدر على أن يغيب عنى ساعة قالت فوالله ما أنا بتاركته ثم قالت: فدعه عندى أياما أنظر إليه وأسكن عنه لعل ذلك يسلينى عنه أو كما قالت فلما خرج من عندها يعقوب عمدت إلى منطقة إسحق فحزمتها على يوسف من تحت ثيابه ثم قالت فقدت منطقة إسحق عليه السلام فانظروا من أخذها ومن أصابها ؟ فالتمست ثم قالت اكشفوا أهل البيت فكشفوهم فوجدوها مع يوسف فقالت والله إنه لى لسلم أصنع فيه ما شئت فأتاها يعقوب فأخبرته الخبر فقال لها أنت وذاك إن كان فعل ذلك فهو سلم لك ، ما أستطيع غير ذلك ، فأمسكته لها قدر عليه يعقوب حتى ماتت ، قال فهو الذى يقول إخوة يوسف حين صنع بأخيه ما صنع حين أخذه (إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل) وقوله (فأسرها يوسف فى نفسه) يعنى الكلمة التى بعدها وهى قوله (أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون) أى تذكرون قال هذا فى نفسه ولم يبده لهم وهذا من باب الاضمار قبل الذكر وهو كثير كقول الشاعر :

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر * وحسن فعل كما يجزى سنمار

وله شواهد كثيرة فى القرآن والحديث واللغة فى منثورها وأخبارها وأشعارها. قال العوفى عن ابن عباس (فأسرها يوسف فى نفسه) قال أسر فى نفسه (أنتم شر مكاناً والله أعلم بما تصفون)

﴿ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ * قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ ﴾

لما تعين أخذ بنيامين وتقرر تركه عند يوسف بمقتضى اعترافهم شرعوا يترققون له ويعطفونه عليهم (فقالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا) يعنون وهو يحبه حبا شديدا ويتسلى به عن ولده الذى فقده (فخذ أحدنا مكانه) أى بدله يكون عندك عوضا عنه (إنا نراك من المحسنين) أى العادلين المنصفين الفاضلين للخير (قال معاذ الله أن تأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده) أى كما قلتم واعترفتم (إنا إذا لظالمون) أى إن أخذنا بريئا بسقيم(١) .

﴿ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ

(١) المناسب أن يقال : بمذنب او جان .

مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ * ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ * وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾

يخبر تعالى عن اخوة يوسف أنهم لما يئسوا من تخليص أخيهم بنيامين الذى قد التزموا لأبيهم برده إليه وعاهدوه على ذلك فامتنع عليهم دلك (خلصوا) أى انفردوا عن الناس (نجيا) يتناجون فيما بينهم (قال كبيرهم) وهو روبيل وقيل يهوذا وهو الذى أشار عليهم بإلقائه فى البئر عند ماهموا بقتله فال لهم (ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله) لتردنه إليه فقد رأيتم كيف تعذر عليكم ذلك مع ماتقدم لكم من إضاعة يوسف عنه (فلن أبرح الأرض) أى لن أفارق هذه البلدة (حتى يأذن لى أبى) فى الرجوع اليه راضياً عنى (أو يحكم الله لى) قيل بالسيف ، وقيل بأن يمكنى من أخذ أخى (وهو خير الحاكمين) ثم أمرهم أن يخبروا أباهم بصورة ماوقع حتى يكون عذرا لهم عنده ويتصلوا إليه ويبرؤا مما وقع بقولهم وقوله (وما كنا للغيب حافظين) قال قتادة وعكرمة : ماعلمنا أن ابنك سرق . وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم : ماعلمنا فى الغيب أنه سرق له شيئا ، إنما سألنا ماجزاء السارق ؟ (واسأل القرية التى كنا فيها) قيل المراد مصر قاله قتادة وقيل غيرها (والعير التى أقبلنا فيها) أى التى رافقناها عن صدقنا وأمانتنا وحفظنا وحراستنا (وإنا لصادقون) فيما أخبرناك به من أنه سرق وأخذوه بسرقته

﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ * قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ * قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

قال لهم كما قال لهم حين جاءوا على قميص يوسف بدم كذب (بل سوّلت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل) قال محمد ابن إسحق لما جاءوا يعقوب وأخبروه بماجرى اتهمهم فظن أنها كفعلتهم بيوسف قال (بل سوّلت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل) وقال بعض الناس لما كان صنيعهم هذا مرتباً على فعلهم الأول سحب حكم الأول عليه وصح قوله (بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل) ثم ترجى من الله أن يرد عليه أولاده الثلاثة يوسف وأخاه بنيامين وروبيل الذى أقام بديار مصر ينتظر أمر الله فيه إما أن يرضى عنه أبوه فيأمره بالرجوع اليه ، وإما أن يأخذ أخاه خفية ، ولهذا قال (عسى الله أن يأتيني بهم جميعا إنه هو العليم) أى العليم بحالى (الحكيم) فى أفعاله وقضائه وقدره (وتولى عنهم وقال يا أسفا على يوسف) أى أعرض عن بنيه وقال متذكرا حزن يوسف القديم الأول (يا أسفا على يوسف) جدد له حزن الابنين الحزن الدفين ، قال عبد الرزاق أنا الثورى عن سفيان العصفرى عن سعيد بن جبير أنه قال لم يعط أحد غير هذه الأمة الاسترجاع ، ألا تسمعون إلى قول يعقوب عليه السلام (يا أسفا على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم) أى ساكت لايشكو أمره إلى مخلوق . قاله قتادة وغيره ، وقال الضحاك فهو كظيم كئيب حزين

وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن الحسن عن الأحنف بن قيس أن النبى ﷺ قال « إن داود عليه السلام قال : يارب إن بنى إسرائيل يسألونك بإبراهيم وإسحق ويعقوب فاجعلنى لهم رابعاً فأوحى الله تعالى اليه أن ياداود إن إبراهيم ألقى فى النار بسببى فصبر وتلك بلية لم تنلك وإن إسحق بدل مهجة دمه بسببى فصبر وتلك بلية لم تنلك ، وإن يعقوب أخذت منه حبيبه فابيضت عيناه من الحزن فصبر وتلك بلية لم تنلك » وهذا

مرسل وفيه نكارة فإن الصحيح أن إسماعيل هو الذبيح ، ولكن على بن زيد بن جدعان له مناكير وغرائب كثيرة والله أعلم ، وأقرب مافى هذا أن الأحنف بن قيس رحمه الله حكاه عن بعض بنى إسرائيل ككعب ووهب ونحوهما والله أعلم فان بنى إسرائيل ينقلون أن يعقوب كتب الى يوسف لما احتبس أخاه بسبب السرقة يتلطف له فى رد ابنه ويذكر له انهم أهل بيت مصابون بالبلاء فابراهيم ابتلى بالنار وإسحق بالذبح ويعقوب بفراق يوسف فى حديث طويل لايصح والله أعلم ، فعند ذلك رق له بنوه وقالوا له على سبيل الرفق به والشفقة عليه (تالله تفتؤ تذكر يوسف) أى لاتفارق تذكر يوسف (حتى تكون حرضاً) أى ضعيف القوة (أو تكون من الهالكين) يقولون إن استمر بك هذا الحال خشينا عليك الهلاك والتلف (قال إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله) أى أجابهم عما قالوا بقوله (إنما أشكو بثى وحزنى) أى همى وما أنافيه (إلى الله) وحده (وأعلم من الله مالاتعلمون) أى أرجو منه كل خير ، وعن ابن عباس (وأعلم من الله مالا تعلمون) يعنى رؤيا يوسف أنها صدق وأن الله لابد أن يظهرها ، وقال العوفى عنه فى الآية أعلم أن رؤيا يوسف صادقة وأنى سوف أسجد له . وقال ابن أبى حاتم: حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا يحيى بن عبد الملك بن أبى بحينة عن حفص بن عمر بن أبى الزبير عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « كان ليعقوب النبى عليه السلام أخ مؤاخ له فقال له ذات يوم ما الذى أذهب بصرك وقوس ظهرك ؟ قال أما الذى أذهب بصرى فالبكاء على يوسف وأما الذى قوس ظهرى فالحزن على بنيامين ، فأتاه جبريل عليه السلام فقال يايعقوب إن الله يقرئك السلام ويقول لك أما تستحى أن تشكونى إلى غيرى ؟ فقال يعقوب إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله فقال جبريل عليه السلام الله أعلم بما تشكو » وهذا حديث غريب فيه نكارة :

﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ * فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن يعقوب عليه السلام إنه ندب بنيه على الذهاب فى الأرض يستعلمون أخبار يوسف وأخيه بنيامين والتحسس يكون فى الخير والتجسس يكون فى الشر ، ونهضهم وبشرهم وأمرهم أن لاييأسوا من روح الله أى لايقطعوا رجاءهم وأملهم من الله فيما يرومونه ويقصدونه فانه لايقطع الرجاء ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون. وقوله (فلما دخلوا عليه) تقدير الكلام : فذهبوا فدخلوا مصر ودخلوا على يوسف (قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر) يعنون من الجدب والقحط وقلة الطعام (وجئنا ببضاعة مزجاة) أى ومعنا ثمن الطعام الذى نمتاره وهو ثمن قليل قاله مجاهد والحسن وغير واحد وقال ابن عباس الردىء لاينفق مثل خلق الغرارة والحبل والشىء ، وفى رواية عنه الدراهم الرديئة التى لاتجوز إلا بنقصان وكذا قال قتادة والسدى وقال سعيد بن جبير هى الدراهم الفسول. وقال أبو صالح :هو الصنوبر وحبة الخضراء وقال الضحاك كاسدة لاتنفق وقال أبو صالح جاءوا بحب البطم الأخضر والصنوبر ، وأصل الإزجاء الدفع لضعف الشىء كما قال حاتم طيء

ليبك على ملحان ضيف مدافع * وأرملة تزجى مع الليل أرملا

وقال أعشى بنى ثعلبة الواهب المائة الهجان وعبدها * عوذا تزجى خلفها أطفالها

وقوله إخبارا عنهم (فأوف لنا الكيل) أى أعطنا بهذا الثمن القليل ما كنت تعطينا قبل ذلك وقرأ ابن مسعود فأوقر ركابنا وتصدق علينا وقال ابن جريج وتصدق علينا برد أخينا إلينا وقال سعيد بن جبير والسدى (وتصدق علينا) يقولون تصدق علينا بقبض هذه البضاعة المزجاة وتجوز فيها وسئل سفيان بن عيينة هل حرمت الصدقة على أحد من الأنبياء قبل النبى ﷺ فقال ألم تسمع قوله (فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزى

المتصدقين) رواه ابن جرير عن الحارث عن القاسم عنه . وقال ابن جرير حدثنا الحارث حدثنا القاسم حدثنا مروان ابن معاوية عن عثمان بن الأسود سمعت مجاهدا وسئل هل يكره أن يقول الرجل فى دعائه : اللهم تصدق على ؟ قال نعم إنما الصدقة لمن يبتغى الثواب

﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ * قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ * قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ * قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن يوسف عليه السلام أنه لما ذكر له إخوته ما أصابهم من الجهد والضيق وقلة الطعام وعموم الجدب وتذكر أباه وما هو فيه من الحزن لفقد ولديه مع ما هو فيه من الملك والتصرف والسعة فعند ذلك أخذته رقة ورأفة ورحمة وشفقة على أبيه وإخوته وبدره البكاء فتعرف إليهم فيقال إنه رفع التاج عن جبهته وكان فيها شامة وقال (هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون) يعنى كيف فرقوا بينه وبين أخيه (إذ أنتم جاهلون) أى إنما حملكم على هذا الجهل بمقدار هذا الذى ارتكبتموه كما قال بعض السلف كل من عصى الله فهو جاهل وقرأ (ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة) الآية والظاهر والله أعلم أن يوسف عليه السلام إنما تعرف إليهم بنفسه بإذن الله تعالى له فى ذلك كما أنه إنما أخفى منهم نفسه فى المرتين الأوليين بأمر الله تعالى له فى ذلك والله أعلم ولكن لما ضاق الحال واشتد الأمر فرج الله تعالى من ذلك الضيق كما قال تعالى (فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً) فعند ذلك قالوا (أئنك لأنت يوسف ؟) وقرأ أبى بن كعب (إنك لأنت يوسف) وقرأ ابن محيصن (أنت يوسف) والقراءة المشهورة هى الأولى لأن الاستفهام يدل على الاستعظام أى أنهم تعجبوا من ذلك أنهم يترددون إليه من سنتين وأكثر وهم لا يعرفونه وهو مع هذا يعرفهم ويكتم نفسه فلهذا قالوا على سبيل الاستفهام (أئنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى) . وقوله (قد من الله علينا) أى بجمعه بيننا بعد التفرقة وبعد المدة (إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين * قالوا تالله لقد آثرك الله علينا) الآية يقولون معترفين له بالفضل والأثرة عليهم فى الخلق والخلق والسعة والملك والتصرف والنبوة أيضا على قول من لم يجعلهم أنبياء وأقروا له بأنهم أساءوا إليه وأخطأوا فى حقه (قال لا تثريب عليكم اليوم) يقول أى لا تأنيب عليكم ولا عتب عليكم اليوم ولا أعيد عليكم ذنبكم فى حقى بعد اليوم ثم زادهم الدعاء لهم بالمغفرة فقال (يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) قال السدى اعتذروا إلى يوسف فقال (لا تثريب عليكم اليوم) يقول لا أذكر لكم ذنبكم وقال ابن إسحق والثورى (لا تثريب عليكم) أى لا تأنيب عليكم اليوم عندى فيما صنعتم (يغفر الله لكم) أى يستر الله عليكم فيما فعلتم (وهو أرحم الراحمين)

﴿ ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ * وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ * قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴾

يقول اذهبوا بهذا القميص (فألقوه على وجه أبى يأت بصيرا) وكان قد عمى من كثرة البكاء (وأتونى بأهلكم أجمعين أى بجميع بنى يعقوب (ولما فصلت العير) أى خرجت من مصر (قال أبوهم) يعنى يعقوب عليه السلام لمن بقى عنده من بنيه (إنى لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون) تنسبونى إلى الفند والكبر . قال عبد الرزاق أنبأنا إسرائيل عن أبى سنان عن عبد الله بن أبى الهذيل قال سمعت ابن عباس يقول : ولما فصلت العير قال لما خرجت العير هاجت ريح فجاءت يعقوب بريح قميص يوسف فقال (إنى لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون) قال فوجد ريحه من مسيرة ثمانية أيام وكذا رواه سفيان الثورى

وشعبة وغيرهما عن أبى سنان به ، وقال الحسن وابن جريج كان بينهما ثمانون فرسخا وكان بينه وبينه منذ افترقا ثمانون سنة وقوله (لولا أن تفندون) قال ابن عباس ومجاهد وعطاء وقتادة وسعيد بن جبير تسفهون ، وقال مجاهد أيضا والحسن تهرمون وقولهم (إنك لفى ضلالك القديم) قال ابن عباس لفى خطئك القديم وقال قتادة أى من حب يوسف لا تنساه ولا تسلاه قالوا لوالدهم كلمة غليظة لم يكن ينبغى لهم أن يقولوها لوالدهم ولا لنبى الله ﷺ وكذا قال السدى وغيره .

﴿ فَلَمَّا أَن جَآءَ الْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * قَالُوا يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ * قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾

قال ابن عباس والضحاك (البشير) البريد ، وقال مجاهد والسدى كان يهوذا بن يعقوب قال السدى إنما جاء به لأنه هو الذى جاء بالقميص وهو ملطخ بدم كذب فأحب أن يغسل ذلك بهذا فجاء بالقميص فألقاه على وجه أبيه فرجع بصيرا وقال لبنيه عند ذلك (ألم أقل لكم إنى أعلم من الله مالا تعلمون) أى أعلم أن الله سيرده إلى وقلت لكم (إنى لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون) فعند ذلك قالوا لأبيهم مترفقين له (يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين * قال سوف أستغفر لكم ربى إنه هو الغفور الرحيم) أى من تاب إليه تاب عليه قال ابن مسعود وإبراهيم التيمى وعمرو بن قيس وابن جريج وغيرهم أرجأهم إلى وقت السحر وقال ابن جرير حدثنى أبو السائب حدثنا ابن إدريس سمعت عبد الرحمن بن إسحق يذكر عن محارب بن دثار قال كان عمر رضى الله عنه يأتى المسجد فيسمع إنسانا يقول : اللهم دعوتنى فأجبت وأمرتنى فأطعت وهذا السحر فاغفر لى قال فاستمع الصوت فإذا هو من دار عبد الله بن مسعود فسأل عبد الله عن ذلك فقال إن يعقوب أخر بنيه إلى السحر بقوله (سوف أستغفر لكم ربى) وقد ورد فى الحديث أن ذلك كان ليلة الجمعة كما قال ابن جرير أيضا حدثنى المثنى حدثنا سليمان بن عبد الرحمن أبو أيوب الدمشقى حدثنا أبو الوليد أنبأنا ابن جريج عن عطاء وعكرمة عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ « (سوف أستغفر لكم ربى) يقول حتى تأتى ليلة الجمعة وهو قول أخى يعقوب لبنيه » وهذا غريب من هذا الوجه وفى رفعه نظر والله أعلم

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُۥ سُجَّدًا وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾

يخبر تعالى عن ورود يعقوب عليه السلام على يوسف عليه السلام وقدومه بلاد مصر لما كان يوسف قد تقدم لإخوته أن يأتوه بأهلهم أجمعين فتحملوا عن آخرهم وترحلوا من بلاد كنعان قاصدين بلاد مصر فلما أخبر يوسف عليه السلام باقترابهم خرج لتلقيهم وأمر الملك أمراءه وأكابر الناس بالخروج مع يوسف لتلقى نبى الله يعقوب عليه السلام ويقال إن الملك خرج أيضا لتلقيه وهو الأشبه وقد أشكل قوله (آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر) على كثير من المفسرين فقال بعضهم هذا من المقدم والمؤخر ومعنى الكلام (وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين) وآوى إليه أبويه ورفعهما على العرش وردا بن جرير هذا وأحاد فى ذلك ثم اختار ما حكاه عن السدى أن يوسف آوى اليه أبويه لما تلقاهما ثم لما وصلوا باب البلد قال (ادخلوا مصر إن شاء آمنين) وفى هذا نظر أيضا لأن الإيواء إنما يكون فى المنزل كقوله (آوى إليه أخاه) وفى الحديث «من آوى محدثا» وما المانع أن يكون قال لهم بعد ما دخلوا عليه وآواهم إليه ادخلوا مصر وضمنه اسكنوا مصر إن شاء الله آمنين أى مما كنتم فيه من الجهد والقحط ويقال والله أعلم إن الله تعالى رفع عن أهل مصر بقية السنين المجدبة ببركة قدوم يعقوب عليهم كما رفع بقية السنين التى دعا بها رسول الله ﷺ على أهل مكة حين قال « اللهم أعنى عليهم بسبع كسبع

يوسف » ثم لما تضرعوا إليه واستشفعوا لديه وأرسلوا أباسفيان فى ذلك فدعا لهم فرفع عنهم بقية ذلك ببركة دعائه عليه السلام وقوله (آوى إليه أبويه) قال السدى وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم إنما كان أباه وخالته وكانت أمه قد ماتت قديما ، وقال محمد بن إسحق وابن جرير كان أبوه وأمه يعيشان قال ابن جرير ولم يقم دليل على موت أمه ، وظاهر القرآن يدل على حياتها وهذا الذى نصره هو المنصور الذى يدل عليه السياق وقوله (ورفع أبويه على العرش) قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد يعنى السرير أى أجلسهما معه على سريره (وخروا له سجداً) أى سجدله أبواه وإخوته الباقون وكانوا أحد عشر رجلا (وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل) أى التى كان قصها على أبيه من قبل (إنى رأيت أحد عشر كوكباً) الآية وقد كان هذا سائغا فى شرائعهم إذا سلموا على الكبير يسجدون له ولم يزل هذا جائزاً من لدن آدم إلى شريعة عيسى عليه السلام فحرم هذا فى هذه الملة وجعل السجود مختصا بجناب الرب سبحانه وتعالى هذا مضمون قول قتادة وغيره ، وفى الحديث أن معاذا قدم الشام فوجدهم يسجدون لأساقفتهم فلما رجع سجد لرسول الله ﷺ فقال « ما هذا يامعاذ ؟ » فقال إنى رأيتهم يسجدون لأساقفتهم وأنت أحق أن يسجد لك يارسول الله فقال « لو كنت آمراً أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لعظم حقه عليها » وفى حديث آخر : أن سلمان لقى النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض طرق المدينة وكان سلمان حديث عهد بالاسلام فسجد للنبى صلى الله عليه وسلم فقال « لا تسجد لى ياسلمان واسجد للحى الذى لا يموت » والغرض أن هذا كان جائزا فى شريعتهم ولهذا خروا له سجدا فعندها قال يوسف (يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا) أى هذا ما آل إليه الأمر فان التأويل يطلق على ما يصير اليه الأمر كما قال تعالى (هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتى تأويله) أى يوم القيامة يأتيهم ما وعدوا به من خير وشر وقوله (قد جعلها ربى حقا) أى صحيحة صدقا يذكر نعم الله عليه (وقد أحسن بى إذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو) أى البادية قال ابن جريج وغيره كانوا أهل بادية وماشية ، وقال كانوا يسكنون بالعربات من أرض فلسطين من غور الشام ، قال وبعض يقول كانوا بالأولاج من ناحية شعب أسفل من حسمى وكانوا أصحاب بادية وشاء وإبل ، (من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين إخوتى إن ربى لطيف لما يشاء) أى إذا أراد أمرا قيض له أسبابا وقدره ويسره (إنه هو العليم) بمصالح عباده (الحكيم) فى أفواله وأفعاله وقضائه وقدره وما يختاره ويريده ، قال أبو عثمان النهدى عن سلمان كان بين رؤيا يوسف وتأويلها أربعون سنه قال عبدالله بن شداد وإليها ينتهى أقصى الرؤيا رواه ابن جرير وقال أيضا حدثنا عمر بن على حدثنا عبدالوهاب الثقفى حدثنا هشام عن الحسن قال كان منذ فارق يوسف يعقوب إلى أن التقيا ثمانون سنه لم يفارق الحزن قلبه ودموعه تجرى على خديه وما على وجه الأرض عبد أحب الى الله من يعقوب ، وقال هشيم عن يونس عن الحسن ثلاث وثمانون سنة ، وقال مبارك بن فضالة عن الحسن ألقى يوسف فى الجب وهو ابن سبع عشرة سنة فغاب عن أبيه ثمانين سنة وعاش بعد ذلك ثلاثا وعشرين سنة ثم مات وله عشرون ومائة سنة وقال قتادة كان بينهما حمس وثلاثون سنة وقال محمد بن إسحق : ذكروا والله أعلم ان غيبة يوسف عن يعقوب كانت ثمانى عشرة سنة ، قال وأهل الكتاب يزعمون أنها كانت أربعين سنة أو نحوها ، وأن يعقوب عليه السلام بقى مع يوسف بعد أن قدم عليه مصر سبع عشرة سنة ثم قبضه الله إليه . وقال أبو اسحق السبيعى عن أبى عبيدة عن عبدالله بن مسعود قال : دخل بنو إسرائيل مصر وهم ثلاثة[1] وستون إنسانا وخرجوا منها وهم ستمائة ألف وسبعون ألفا ، وقال أبو إسحق عن مسروق دخلوا وهم ثلثمائة وتسعون بين رجل وامرأة فالله أعلم . وقال موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظى عن عبد الله بن شداد اجتمع آل يعقوب الى يوسف بمصر وهم ستة وثمانون إنسانا صغيرهم وكبيرهم ، وذكرهم وأنثاهم وخرجوا منها وهم ستمائة ألف ونيف .

﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّٰلِحِينَ ﴾

(١) فى النسخة الملكية ثلاثمائة وستون .

هذا دعاء من يوسف الصديق دعا به ربه عز وجل لما تمت نعمة الله عليه باجتماعه بأبويه وإخوته وما منّ الله به عليه من النبوة والملك، سأل ربه عز وجل كما أتم نعمته عليه في الدنيا أن يستمر بها عليه في الآخرة وأن يتوفاه مسلما حين يتوفاه قاله الضحاك ، وأن يلحقه بالصالحين وهم إخوانه من النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهذا الدعاء يحتمل أن يوسف عليه السلام قاله عند احتضاره كما ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ جعل يرفع أصبعه عند الموت ويقول « اللهم في الرفيق الأعلى » ثلاثا ويحتمل أنه سأل الوفاة على الاسلام واللحاق بالصالحين إذا جاء أجله وانقضى عمره ، لا أنه سأله ذلك منجزاً كما يقول الداعي لغيره أماتك الله على الإسلام ، ويقول الداعي اللهم أحينا مسلمين وتوفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين ، ويحتمل أنه سأل ذلك منجزاً وكان ذلك سائغا في ملتهم كما قال قتادة قوله (توفني مسلما وألحقني بالصالحين) لما جمع الله شمله وأقر عينه وهو يومئذ مغمور في الدنيا وملكها ونضارتها اشتاق الى الصالحين قبله ، وكان ابن عباس يقول ما تمنى نبي قط الموت قبل يوسف عليه السلام ، وكذا ذكر ابن جرير والسدي عن ابن عباس أنه أول نبي دعا بذلك وهذا يحتمل أنه أول من سأل الوفاة على الاسلام كما أن نوحا أول من قال (رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا) ويحتمل أنه أول من سأل إنجاز ذلك وهو ظاهر سياق قول قتادة ، ولكن هذا لا يجوز في شريعتنا ، قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ، فان كان ولا بد متمنيا الموت فليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي ، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي » وأخرجاه في الصحيحين ، وعندهما « لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به إما محسنا فيزداد ، وإما مسيئا فلعله يستعتب ، ولكن ليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي ، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي » وقال الإمام أحمد حدثنا أبو المغيرة حدثنا معاذ بن رفاعة حدثني علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة قال : جلسنا إلى رسول الله ﷺ فذكرنا ورققنا فبكى سعد بن أبي وقاص فأكثر البكاء وقال باليتني مت ، فقال النبي ﷺ « ياسعد أعندي تتمنى الموت ؟ » فردد ذلك ثلاث مرات ثم قال « ياسعد إن كنت خلقت للجنة فما طال من عمرك وحسن من عملك فهو خير لك » وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا أبو يونس هو مسلم بن جبير عن أبي هريرة عن النبي ﷺ

أنه قال « لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ولا يدع به من قبل أن يأتيه إلا أن يكون قد وثق بعمله ، فإنه إذا مات أحدكم انقطع عنه عمله وإنه لا يزيد المؤمن عمله إلا خيرا » تفرد به أحمد ، وهذا فيما إذا كان الضر خاصا به ، وأما إذا كان فتنة في الدين فيجوز سؤال الموت كما قال الله تعالى إخبارا عن السحرة لما أرادهم فرعون عن دينهم وتهددهم بالقتل (قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين) وقالت مريم لما أجاءها المخاض وهو الطلق إلى جذع النخلة (ياليتني متّ قبل هذا وكنت نسيا منسيا) لما علمت من أن الناس يقذفونها بالفاحشة لأنها لم تكن ذات زوج وقد حملت ووضعت وقد قالوا (يامريم لقد جئت شيئا فريا يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا) فجعل الله لها من ذلك الحال فرجا ومخرجا وأنطق الصبي في المهد بأنه عبد الله ورسوله فكان آية عظيمة ومعجزة باهرة صلوات الله وسلامه عليه . وفي حديث معاذ الذي رواه الإمام أحمد والترمذي في قصة المنام والدعاء الذي فيه « وإذا أردت بعوم فتنة فاقبضني إليك غير مفتون »

وقال الإمام أحمد حدثنا أبو سلمة أنا عبد العزيز بن محمد عن عمرو بن عاصم عن كثير بن قتادة عن محمود بن لبيد مرفوعا أن النبي ﷺ قال « اثنتان يكرههما ابن آدم : يكره الموت والموت خير للمؤمن من الفتن ، ويكره قلة المال وقلة المال أقل للحساب » فعند حلول الفتن في الدين يجوز سؤال الموت ، ولهذا قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في آخر خلافته لما رأى أن الأمور لا تجتمع له ولا يزداد الأمر إلا شدة فقال : اللهم خذني إليك فقد سئمتهم وسئموني . وقال البخاري رحمه الله لما وقعت له تلك الفتنة وجرى له مع أمير خراسان ما جرى قال : اللهم توفني إليك وفي الحديث « إن الرجل ليمر بالقبر — أي في زمان الدجال — فيقول ياليتني مكانك » لما يرى من الفتن والزلازل

والبلابل والأمور الهائلة التي هي فتنة لكل مفتون . قال أبو جعفر بن جرير: وذكر أن بني يعقوب الذين فعلوا بيوسف ما فعلوا استغفر لهم أبوهم فتاب الله عليهم وعفا عنهم وغفر لهم ذنوبهم

﴿ ذكر من قال ذلك ﴾

حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثني حجاج عن صالح المري عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال إن الله تعالى لما جمع ليعقوب شمله بعينيه خلا ولده نجيا فقال بعضهم لبعض ألستم قد علمتم ما صنعتم وما لقي منكم الشيخ وما لقي منكم يوسف ؟ قالوا بلى ، قال فيغركم عفوهما عنكم فكيف لكم بربكم ؟ فاستقام أمرهم على أن أتوا الشيخ فجلسوا بين يديه ويوسف إلى جنب أبيه قاعد قالوا يا أبانا إنا أتيناك لأمر لم نأتك لأمر مثله قط ونزل بنا أمر لم ينزل بنا مثله قط حتى حركوه والأنبياء عليهم السلام أرحم البرية فقال ما لكم يا بني ؟ قالوا ألست قد علمت ما كان منا إليك وما كان منا إلى أخينا يوسف ، قال بلى ، قالوا أو لستما قد غفرتما لنا ؟ قالا بلى ، قالوا فان عفوكما لا يغني عنا شيئا إن كان الله لم يعف عنا ، قال فما تريدون يا بني ؟ قالوا نريد أن تدعو الله لنا ، فإذا جاءك الوحي من الله بأنه قد عفا عنا قرت أعيننا واطمأنت قلوبنا وإلا فلا قرة عين في الدنيا لنا أبداً ، قال فقام الشيخ فاستقبل القبلة وقام يوسف خلف أبيه وقاموا خلفهما أذلة خاشعين ، قال فدعا وأمن يوسف فلم يجب فيهم عشرين سنة ، قال صالح المري يخيفهم قال حتى إذا كان على رأس العشرين نزل جبريل عليه السلام على يعقوب عليه السلام فقال إن الله تعالى قد بعثني إليك أبشرك بأنه قد أجاب دعوتك في ولدك وأن الله تعالى قد عفا عما صنعوا وأنه قد اعتقد موائيقهم من بعدك على النبوة . هذا الأثر موقوف عن أنس . ويزيد الرقاشي وصالح المري ضعيفان جداً ، وذكر السدي أن يعقوب عليه السلام لما حضره الموت أوصى إلى يوسف بأن يدفن عند إبراهيم وإسحق ، فلما مات صبره وأرسله إلى الشام فدفن عندهما عليهم السلام .

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ * وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ * وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾

يقول تعالى لمحمد ﷺ لما قص عليه نبأ إخوة يوسف وكيف رفعه الله عليهم وجعل له العاقبة والنصر والملك والحكم مع ما أرادوا به من السوء والهلاك والاعدام هذا وأمثاله يا محمد من أخبار الغيوب السابقة (نوحيه إليك) ونعلمك به يا محمد لما فيه من العبرة لك والاتعاظ لمن خالفك (وما كنت لديهم) حاضرا عندهم ولا مشاهدا لهم (إذ أجمعوا أمرهم) أي على إلقائه في الجب (وهم يمكرون) به ، ولكنا أعلمناك به وحيا إليك وإنزالا عليك كقوله (وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم) الآية وقال تعالى (وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر) الآية إلى قوله (وما كنت بجانب الطور إذ نادينا) الآية ، وقال (وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا) الآية وقال (ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون * إن يوحى إلا أنما أنا نذير مبين) يقول تعالى إنه رسوله وإنه قد أطلعه على أنباء ما قد سبق مما فيه عبرة للناس ونجاة لهم في دينهم ودنياهم ومع هذا ما آمن أكثر الناس ولهذا قال (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) وقال (وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله) كقوله (إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين) إلى غير ذلك من الآيات وقوله (وما تسألهم عليه من أجر) أي ما تسألهم يا محمد على هذا النصح والدعاء إلى الخير والرشد من أجر أي من جعالة ولا أجرة بل تفعله ابتغاء وجه الله ونصحا لخلقه (إن هو إلا ذكر للعالمين) أي يتذكرون به ويهتدون وينجون به في الدنيا والآخرة

﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ * وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ * أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾

يخبر تعالى عن غفلة أكثر الناس عن التفكر فى آيات الله ودلائل توحيده بما خلقه الله فى السموات والأرض من كواكب زاهرات ثوابت ، وسيارات وأفلاك دائرات . والجميع مسخرات ، وكم فى الأرض من قطع متجاورات ، وحدائق وجنات ، وجبال راسيات . وبحار زاخرات ، وأمواج متلاطمات ، وقفار شاسعات ، وكم من أحياء وأموات ، وحيوان ونبات ، وثمرات متشابهة ومختلفات فى الطعوم والروائح والألوان والصفات فسبحان الواحد الأحد خالق أنواع المخلوقات ، المتفرد بالدوام والبقاء والصمدية للأسماء والصفات ، وغير ذلك

وقوله (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) قال ابن عباس : من إيمانهم أنهم إذا قيل لهم : من خلق السموات ومن خلق الأرض ومن خلق الجبال ؟ قالوا الله وهم مشركون به . وكذا قال مجاهد وعطاء وعكرمة والشعبي وقتادة والضحاك وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وفى الصحيحين : أن المشركين كانوا يقولون فى تلبيتهم : لبيك لا شريك لك ، إلا شريك هو لك ، تملكه وما ملك ، وفى صحيح مسلم أنهم كانوا إذا قالوا لبيك لا شريك لك قال رسول الله ﷺ « قد قد » أى حسب حسب لا تزيدوا على هذا ، وقال الله تعالى (إن الشرك لظلم عظيم) وهذا هو الشرك الأعظم يعبد مع الله غيره كما فى الصحيحين عن ابن مسعود قلت يا رسول الله : أى الذنب أعظم ؟ قال « أن تجعل لله ندا وهو خلقك » وقال الحسن البصرى فى قوله (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) قال ذلك المنافق يعمل إذا عمل رياء الناس وهو مشرك بعمله ذلك يعنى قوله تعالى (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا) وثم شرك آخر خفى لا يشعر به غالبا فاعله كما روى حماد بن سلمة عن عاصم بن أبى النجود عن عروة قال : دخل حذيفة على مريض فرأى فى عضده سيرا فقطعه — أو انتزعه — ثم قال (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) وفى الحديث « من حلف بغير الله فقد أشرك » رواه الترمذى وحسنه من رواية ابن عمر ، وفى الحديث الذى رواه أحمد وأبو داود وغيره عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرقى والتمائم والتولة شرك » وفى لفظ لهما « الطيرة شرك وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل » ورواه الإمام أحمد بأبسط من هذا فقال حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن يحيى الجزار عن ابن أخى زينب عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود قالت : كان عبد الله إذا جاء من حاجة فانتهى إلى الباب تنحنح وبرق كراهة أن يهجم منا على أمر يكرهه قالت وإنه جاء ذات يوم فتنحنح وعندى عجوز ترقينى من الحمرة فأدخلتها تحت السرير ، قالت فدخل فجلس إلى جانبى فرأى فى عنقى خيطا فقال : ما هذا الخيط ؟ قالت : قلت خيط رقى لى فيه فأخذه فقطعه ثم قال إن آل عبد الله لأغنياء عن الشرك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الرقى والتمائم والتولة شرك » قالت : قلت له لم تقول هذا وقد كانت عينى تقذف فكنت أختلف إلى فلان اليهودى يرقيها فكان إذا رقاها سكنت ، فقال إنما ذاك من الشيطان كان ينخسها بيده فإذا رقاها كف عنها إنما كان يكفيك أن تقولى كما قال النبى ﷺ « أذهب الباس ، رب الناس ، اشف وأنت الشافى ، لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما » وفى حديث آخر رواه الإمام أحمد عن وكيع عن ابن أبى ليلى عن عيسى بن عبد الرحمن قال دخلت على عبد الله بن عكيم وهو مريض نعوده فقيل له لو تعلقت شيئا ، فقال أتعلق شيئا وقد قال رسول الله ﷺ « من تعلق شيئا وكل إليه » ورواه النسائى عن أبى هريرة . وفى مسند الإمام أحمد من حديث عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ « من علق تميمة فقد أشرك » وفى رواية « من تعلق تميمة فلا أتم الله له ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له » وعن العلاء عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الله أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك فيه معى غيرى تركته وشركه » رواه مسلم . وعن أبى سعيد بن أبى فضالة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه ينادى مناد من كان أشرك فى عمل عمله لله فليطلب ثوابه من عند غير الله فان الله أغنى الشركاء عن الشرك » رواه الإمام أحمد . وقال أحمد حدثنا يونس حدثنا ليث عن يزيد يعنى ابن الهاد عن عمرو عن محمود بن لبيد أن رسول الله ﷺ

قال «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» قالوا وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال «الرياء ، يقول الله تعالى يوم القيامة إذا جازى الناس بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء ؟» وقد رواه إسماعيل بن جعفر عن عمرو بن أبى عمرو مولى المطلب عن عاصم بن عمرو عن قتادة عن محمود بن لبيد به ، وقال الإمام أحمد حدثنا حسن أنبأنا ابن لهيعة أنبأنا ابن هبيرة عن أبى عبد الرحمن الحبلى عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ «من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك» قالوا يارسول الله ما كفارة ذلك ؟ قال «أن يقول أحدهم اللهم لاخير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك» وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الله بن نمير حدثنا عبد الملك بن أبى سليمان العرزمى عن أبى على رجل من بنى كاهل قال : خطبنا أبو موسى الأشعرى فقال : يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل . فقام عبد الله بن حرب وقيس بن المضارب فقالا والله لتخرجن مما قلت أو لنأتين عمر مأذونا لنا أو غير مأذون قال بل أخرج مما قلت خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال «يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل» فقال له من شاء الله أن يقول فكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله ؟ قال «قولوا اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئا نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه» وقد روى من وجه آخر وفيه أن السائل فى ذلك هو الصديق كما رواه الحافظ أبو يعلى الموصلى من حديث عبد العزيز بن مسلم عن ليث بن أبى سليم عن أبى محمد عن معقل بن يسار قال شهدت النبى ﷺ أو قال حدثنى أبو بكر الصديق عن رسول الله ﷺ أنه قال «الشرك أخفى فيكم من دبيب النمل» فقال أبو بكر وهل الشرك إلا من دعا مع الله إله آخر ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل» ثم قال «ألا أدلك على ما يذهب عنك صغير ذلك وكبيره ؟ قل اللهم إنى أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك مما لا أعلم» وقد رواه الحافظ أبو القاسم البغوى عن شيبان بن فروخ عن يحيى بن كثير عن الثورى عن إسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم عن أبى بكر الصديق قال : قال رسول الله ﷺ «الشرك أخفى فى أمتى من دبيب النمل على الصفا» قال: فقال أبو بكر يارسول الله فكيف النجاة والمخرج من ذلك ؟ فقال «ألا أخبرك بشىء إذا قلته برئت من قليله وكثيره وصغيره وكبيره ؟» قال بلى يارسول الله قال : «قل اللهم إنى أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم» قال الدارقطنى يحيى بن أبى كثير هذا يقال له أبو النضر متروك الحديث ، وقد روى الإمام أحمد وأبو داود والترمذى وصححه والنسائى من حديث يعلى بن عطاء سمعت عمرو بن عاص سمعت أبا هريرة قال : قال أبو بكر الصديق يارسول الله علمنى شيئا أقوله اذا أصبحت واذا أمسيت واذا أخذت مضجعى قال «قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شىء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسى ومن شر الشيطان وشركه» ورواه أبو داود والنسائى وصححه ، وزاد الإمام أحمد فى رواية له من حديث ليث بن أبى سليم عن مجاهد عن أبى بكر الصديق قال : أمرنى رسول الله ﷺ أن أقول — فذكر هذا الدعاء وزاد فى آخره — «وأن أقترف على نفسى سوءا أو أجرّه الى مسلم» . وقوله (أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله) الآية : أى أفأمن هؤلاء المشركون بالله أن يأتيهم أمر يغشاهم من حيث لا يشعرون كقوله تعالى (أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون * أو يأخذهم فى تقلبهم فما هم بمعجزين * أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرءوف رحيم) وقوله (أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون * أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون * أفأمنوا مكر الله ؟ فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون)

﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوٓا إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾

يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم إلى الثقلين الإنس والجن آمراً له أن يخبر الناس أن هذه سبيله أى طريقته ومسلكه وسنته وهى الدعوة الى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك ويقين

وبرهان هو وكل من اتبعه يدعو إلى مادعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة ويقين وبرهان عقلى وشرعى ؛ وقوله (وسبحان الله) أى وأنزه الله وأجله وأعظمه وأقدسه عن أن يكون له شريك أونظير أوعديل أونديد أو ولد أو والد أوصاحبة أو وزير أومشير تبارك وتقدس وتنزه وتعالى عن ذلك كله علوا كبيراً (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفوراً)

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

يخبر تعالى أنه إنما أرسل رسله من الرجال لامن النساء وهذا قول جمهور العلماء كما دل عليه سياق هذه الآية الكريمة أن الله تعالى لم يوح إلى امرأة من بنات بنى آدم وحى تشريع. وزعم بعضهم أن سارة امرأة الخليل وأم موسى ومريم بنت عمران أم عيسى نبيات واحتجوا بأن الملائكة بشرت سارة بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب وبقوله (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه) الآية وبأن الملك جاء إلى مريم فبشرها بعيسى عليه السلام وبقوله تعالى (إذ قالت الملائكة يامريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين * يامريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين) وهذا القدر حاصل لهن ولكن لايلزم من هذا أن يكن نبيات بذلك ، فإن أراد القائل بنبوتهن هذا القدر من التشريف فهذا لاشك فيه ويبقى الكلام معه فى أن هذا هل يكفى فى الانتظام فى سلك النبوة بمجرده أم لا ؟ الذى عليه أهل السنة والجماعة وهو الذى نقله الشيخ أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعرى عنهم أنه ليس فى النساء نبية وإنما فيهن صديقات كما قال تعالى مخبرا عن أشرفهن مريم بنت عمران حيث قال تعالى (ما المسيح ابن مريم إلا رسول قدخلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام) فوصفها فى أشرف مقاماتها بالصديقية فلو كانت نبية لذكر ذلك فى مقام التشريف والاعظام فهى صديقة بنص القرآن . وقال الضحاك عن ابن عباس فى قوله (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا) الآية أى ليسوا من أهل السماء كما قلتم وهذا القول من ابن عباس يعتضد بقوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق) الآية وقوله تعالى (وماجعلناهم جسدا لايأكلون الطعام وما كانوا خالدين * ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين) وقوله تعالى (قل ما كنت بدعا من الرسل) الآية وقوله (من أهل القرى) المراد بالقرى المدن لأنهم من أهل البوادى الذين هم من أجفى الناس طباعا وأخلاقا وهذا هو المعهود المعروف أن أهل المدن أرق طباعا وألطف من أهل بوادهم وأهل الريف والسواد أقرب حالا من الذين يسكنون فى البوادى ولهذا قال تعالى (الأعراب أشد كفرا ونفاقاً) الآية وقال قتادة فى قوله (من أهل القرى) لأنهم أعلم وأحلم من أهل العمود ، وفى الحديث الآخر أن رجلا من الأعراب أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ناقة فلم يزل يعطيه ويزيده حتى رضى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقد هممت أن لا أنهب هبة إلا من قرشى أو أنصارى أوثقفى أو دوسى»

وقال الإمام أحمد حدثنا حجاج حدثنا شعبة عن الأعمش عن يحيى بن وثاب عن شيخ من أصحاب رسول الله ﷺ قال الأعمش هو عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « المؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذى لايخالطهم ولايصبر على أذاهم »وقوله (أفلم يسيروا فى الأرض) يعنى هؤلاء المكذبين لك ياممحمد فى الأرض (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) أى من الأمم المكذبة للرسل كيف دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها كقوله (أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها) الآية فاذا استمعوا خبر ذلك رأوا أن الله قد أهلك الكافرين ونجى المؤمنين وهذه كانت سنته تعالى فى خلقه ولهذا قال تعالى (ولدار الآخرة خير للذين اتقوا) أى وكما نجينا المؤمنين فى الدنيا كذلك كتبنا لهم النجاة فى الدار الآخرة وهى خير لهم من الدنيا بكثير كقوله (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد * يوم لاينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار) وأضاف الدار إلى الآخرة فقال (ولدار الآخرة)

كما يقال صلاة الأولى ومسجد الجامع وعام أول وبارحة الأولى ويوم الخميس . قال الشاعر :

أتمدح فقعسا وتذم عبسا * ألا لله أمك من هجين * ولو أقوت عليك ديار عبس * عرفت الذل عرفان اليقين

﴿ حَتَّىٰ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾

يذكر تعالى أن نصره ينزل على رسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عند ضيق الحال وانتظار الفرج من الله في أحوج الأوقات إليه كقوله تعالى (وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله) الآية وفي قوله (كذبوا) قراءتان إحداهما بالتشديد قد كذبوا ، وكذلك كانت عائشة رضى الله عنها تقرؤها ، قال البخارى حدثنا عبد العزيز ابن عبدالله حدثنا إبراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب قال أخبرني عروة بن الزبير عن عائشة أنها قالت له وهو يسألها عن قول الله تعالى (حتى إذا استيأس الرسل)قال قلت أكذبوا أم كذبوا ؟ قالت عائشة كذبوا قلت فقد استيقنوا أن قومهم كذبوهم فما هو بالظن ؟ قالت أجل لعمري لقد استيقنوا بذلك فقلت لها (وظنوا أنهم قد كذبوا ؟ قالت معاذالله لم تكن الرسل تظن ذلك بربها) قلت فما هذه الآية؟ قالت هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقوهم فطال عليهم البلاء واستأخر عنهم النصر (حتى إذا استيأس الرسل) ممن كذبهم من قومهم وظنت الرسل أن أتباعهم قد كذبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك حدثنا أبو اليمان أنبأنا شعبة عن الزهري قال أخبرنا عروة فقالت لها لعلها قد كذبوا مخففة ؟ قالت معاذ الله . انتهى ماذكره ، وقال ابن جريج أخبرني ابن أبي مليكة أن ابن عباس قرأها (وظنوا أنهم قد كذبوا) خفيفة قال عبد الله هو ابن أبي مليكة ثم قال لي ابن عباس كانوا بشرا ثم تلا (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب) قال ابن جريج وقال لي ابن أبي مليكة وأخبرني عروة عن عائشة أنها خالفت ذلك وأبته وقالت ما وعد الله محمداً ﷺ من شيء إلا قد علم أنه سيكون حتى مات ولكنه لم يزل البلاء بالرسل حتى ظنوا أن من معهم من المؤمنين قد كذبوهم . قال ابن أبي مليكة في حديث عروة كانت عائشة تقرؤها (وظنوا أنهم قد كذبوا) مثقلة من التكذيب وقال ابن أبي حاتم أنا يونس ابن عبد الأعلى قراءة أنا ابن وهب أخبرني سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد قال : جاء إنسان إلى القاسم بن محمد فقال إن محمد بن كعب القرظي قرأ هذه الآية (حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا) فقال القاسم أخبره عني أني سمعت عائشة زوج النبي ﷺ تقوله (حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا) تقول كذبتهم أتباعهم . إسناد صحيح أيضا . والقراءة الثانية بالتخفيف ، واختلفوا في تفسيرها فقال ابن عباس ما تقدم ، وعن ابن مسعود فيما رواه سفيان الثوري عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عبدالله أنه قرأ (حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا) مخففة قال عبد الله هو الذي تكره وهذا عن ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهما مخالف لما رواه آخرون عنهما . أما ابن عباس فروى الأعمش عن مسلم عن ابن عباس في قوله (حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا) قال لما أيست الرسل أن يستجيب لهم قومهم وظن قومهم أن الرسل قد كذبوهم جاءهم النصر على ذلك (فنجي من نشاء) وكذا روى عن سعيد بن جبير وعمران بن الحارث السلمي وعبدالرحمن بن معاوية وعلي بن أبي طلحة والعوفي عن ابن عباس بمثله وقال ابن جرير حدثني المثنى حدثنا عارم أبو النعمان حدثنا حماد بن زيد حدثنا شعيب حدثنا إبراهيم بن أبي حمزة الجزري قال : سأل فتى من قريش سعيد بن جبير قال أخبرنا أبا عبد الله كيف هذا الحرف فاني إذا أتيت عليه تمنيت أن لا أقرأ هذه السورة (حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا) قال نعم حتى إذا استيأس الرسل من قومهم أن يصدقوهم وظن الرسل إليهم أن الرسل قد كذبوا، فقال الضحاك بن مزاحم ما رأيت كاليوم قط رجلا يدعى إلى علم فيتلكأ لو رحلت إلى اليمن في هذه كان قليلا ، ثم روى ابن جرير أيضا من وجه آخر أن مسلم بن يسار سأل سعيد بن جبير عن ذلك فأجابه بهذا الجواب فقام إلى سعيد فاعتنقه وقال فرج الله عنك كما فرجت عني وهكذا روى من غير وجه عن سعيد بن جبير أنه فسرها كذلك وكذا فسرها مجاهد بن جبر وغير واحد من السلف حتى إن مجاهدا قرأها (وظنوا أنهم قد كذبوا

بفتح الذال . رواه ابن جرير إلا أن بعض من فسرها كذلك يعيد الضمير فى قوله (وظنوا أنهم قد كذبوا) إلى أتباع الرسل من المؤمنين ومنهم من يعيده إلى الكافرين منهم أى وظن الكفار أن الرسل قد كذبوا مخففة فيما وعدوا به من النصر ، وأما ابن مسعود فقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا محمد بن فضيل عن محمش[1] بن زياد الضبى عن تميم بن حزم[2] قال سمعت عبدالله بن مسعود يقول فى هذه الآية (حتى إذا استيأس الرسل) من إيمان قومهم أن يؤمنوا بهم وظن قومهم حين أبطأ الأمر أنهم قد كذبوا بالتخفيف. فهاتان الروايتان عن كل من ابن مسعود وابن عباس وقد أنكرت ذلك عائشة على من فسرها بذلك وانتصر لها ابن جرير ووجه المشهور عن الجمهور وزيف القول الآخر بالكلية ورده وأباه ولم يقبله ولا ارتضاه والله أعلم

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

يقول تعالى لقد كان فى خبر المرسلين مع قومهم وكيف نجينا المؤمنين وأهلكنا الكافرين (عبرة لأولى الألباب وهى العقول (ما كان حديثاً يفترى) أى وما كان لهذا القرآن أن يفترى من دون الله ، أى يكذب ويختلق (ولكن تصديق الذى بين يديه) أى من الكتب المنزلة من السماء هو يصدق ما فيها من الصحيح وينفى ما وقع فيها من تحريف وتبديل وتغيير ويحكم عليها بالنسخ أو التقرير (وتفصيل كل شىء) من تحليل وتحريم ومحبوب ومكروه وغير ذلك من الأمر بالطاعات والواجبات والمستحبات والنهى عن المحرمات وما شاكلها من المكروهات والإخبار عن الأمور الجلية وعن الغيوب المستقبلة المجملة والتفصيلية والإخبار عن الرب تبارك وتعالى بالأسماء والصفات وتنزهه عن مماثلة المخلوقات فلهذا كان (هدى ورحمة لقوم يؤمنون) تهتدى به قلوبهم من الغى إلى الرشاد ، ومن الضلال إلى السداد ، ويبتغون به الرحمة من رب العباد، فى هذه الحياة الدنيا ويوم المعاد ، فنسأل الله العظيم أن يجعلنا منهم فى الدنيا والآخرة، يوم يفوز بالربح المبيضة وجوههم الناضره ، ويرجع المسودة وجوههم بالصفقة الخاسرة. آخر تفسير سورة يوسف عليه السلام ولله الحمد والمنة وبه المستعان

﴿ تفسير سورة الرعد وهى مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ الٓمٓرٰ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

أما الكلام على الحروف المقطعة فى أوائل السور فقد تقدم فى أول سورة البقرة وقدمنا أن كل سورة ابتدئت بهذه الحروف ففيها الانتصار للقرآن وتبيان أن نزوله من عند الله حق لا شك فيه ولا مرية ولاريب ولهذا قال (تلك آيات الكتاب) أى هذه آيات الكتاب وهو القرآن وقيل التوراة والإنجيل قاله مجاهد وقتادة وفيه نظر بل هو بعيد ثم عطف على ذلك عطف صفات فقال (والذى أنزل إليك) أى يا محمد (من ربك الحق) خبر تقدم مبتدؤه وهو قوله (والذى أنزل إليك من ربك) هذا هو الصحيح المطابق لتفسير مجاهد وقتادة واختار ابن جرير أن تكون الواو زائدة أو عاطفة صفة على صفة كما قدمنا ، واستشهد بقول الشاعر : إلى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة فى المزدحم

وقوله (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) كقوله (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) أى مع هذا البيان والجلاء والوضوح لا يؤمن أكثرهم لما فيهم من الشقاق ، والعناد والنفاق .

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي

(١) فى نسخة ابن جرير جحش (٢) فى النسخة المكية جثامة وفى نسخة ابن جرير حذلم بالذال والصواب الذى فى التقريب أنه حزلم بالزاى المعجمة.